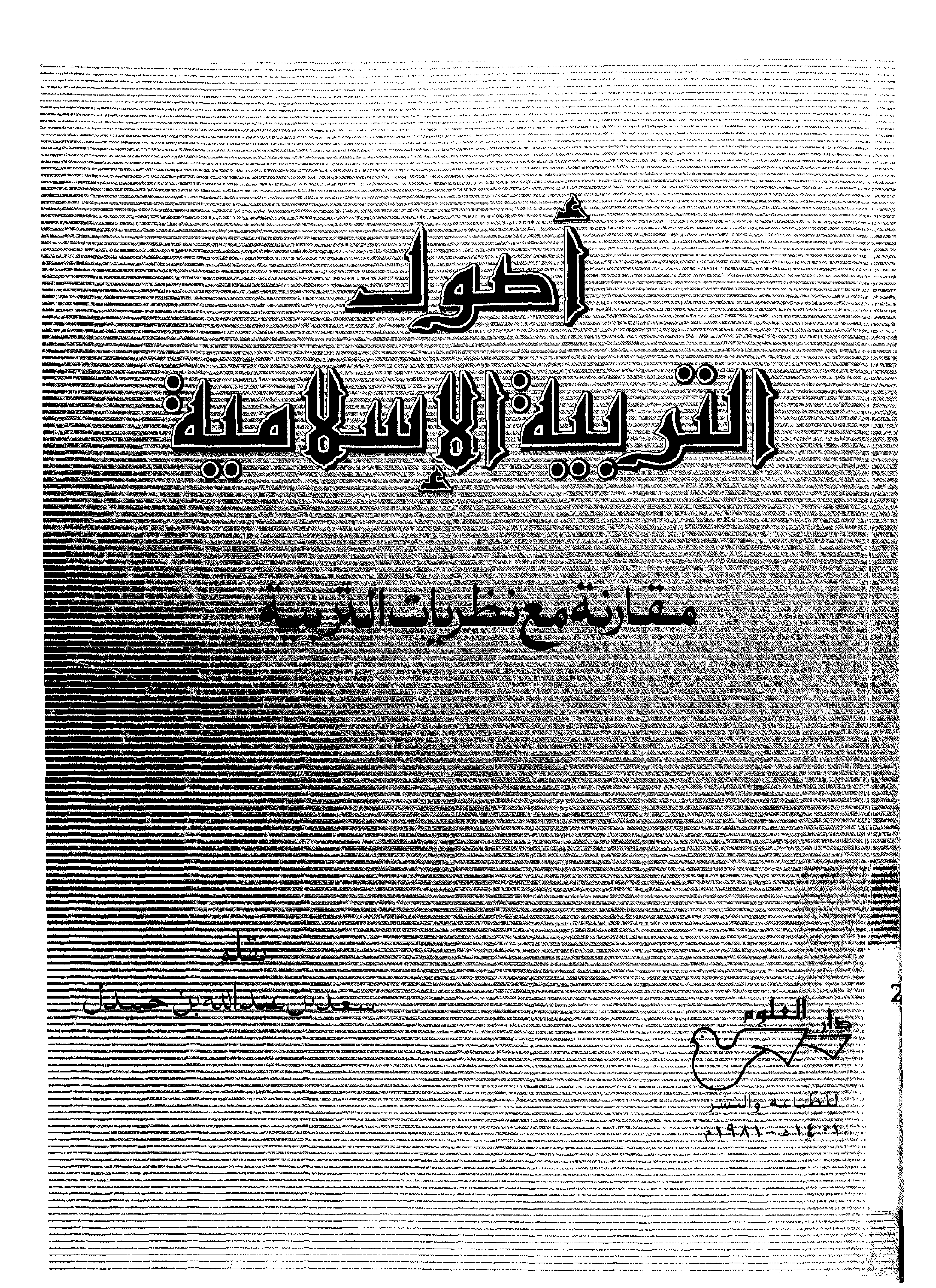


أصول التربية الإسلامية

مقارنة مع نظريات التربية

بقلم

سعد بن عبد الله بن حميد آل

دار العلوم

للطباعة والنشر

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

اصول التربية الاسلامية

ص.ب ١٠٥٠
هاتف ٤٧٧٧١٢١
الرياض - المملكة العربية السعودية

دار العلوم
للطباعة والنشر

١٤٠١هـ = ١٩٨١م
الرياض

اصول التربية الاسلامية

مقارنة مع نظريات التربية

بقلم

سعد بن عبدالله بن جنيدل



للطباعة والنشر

١٤٠١هـ - ١٩٨١م



مقدّمة

الحمد لله حمداً كثيرا، بعث رسوله بالهدى ودين الحقّ، وأشهد أن لا إله إلاّ الّله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، بعثه رحمةً للعالمين وحُجّةً على الكافرين، بعثه في الأُمِيّين رَسُوْلاً مِنهْم يتلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزكِيّهُمْ ويُعَلِّمهُم الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ فَبَّلغَ رسالة ربه، وأدَّى أمانته، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرا، تركَ أُمّته على مّحجة بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ الهالكون ولا يرغب عنها إلى غيرها إلاّ الضَّالّون، هي سبيل المتّقين، ومحجّة أهل اليمين، «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ ظاهِرينَ لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك. . .

فتفرق الناس بعده شِيَعاً، وأصبحوا طوائف وفرقاً، وانتُحِلتَ النُّحَلُ، وعَصَفتْ بهم الأهواء، وألوت بهم رياح الفتن.

ولا غروَ: فخبره (ص) مصدّق (افترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة وافترقت اليهود على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة».

وأخبر (ص) أمّته محذّراً أنهّم سيتّبعونَ سنَنَ مَنْ كان قبلهم

حَذْوَ القُذَّة بالقذّةِ، وهذا ما وقع لأُمَّته، في تاريخها، وهذا ما أرداها في هوة الضلاة، وأذابها في مجاهل التقليد، بعد أن درست بينها معالم سنته.

اتَبعوا سنن من كان قبلهم في كثير من أساليب حياتهم ونظام معيشتهم، وتبرير شهواتهم، وحتى في أساليبهم التّربوية وأنظمتهم التعليمية، واتجاهاتهم في الحياة، وانصرفوا عن نهجه (ص) وغفلوا عن كتاب ربّهم، وكأنهم أُمَّة لا تراث لها، ولا سند لها من كتاب أو سنّة.

إنّ ما حفل به كتاب الله وسنة نبيِّه (ص) من التربية الزاكية والنهج القويم، وما تضمّنه من هدى يكفل للإنسانية سعادتها في معاشها، وفي معادها، وما حفلت به سنة نبيّه من أساليب التربية الرّشيدة التي نجعت على يده (ص) وعلى يَدَيْ أصحابه، رضوان الله عليهم، وأعطت ثمارها طيبة يانعة، جيلاً صالحاً، اضطلع بقيادة الأُمَّة إلى أسمى درجات العزّ والإستقامة، وبلغ بتربيته الرشيدة وتهذيبه القوِيم وحسن تعامله رتبةً عاليةً لم يبْلَغها، ولن يبلَغَها من الأمم إلاّ من وَعَى أمد رَبّه وتمسّك بهداه وعمل بمقتضاه، لجديرة بأن يؤخذ بها، وأن تكون بها غُنية عما سواها.

فما بالنا ونحن نقرأ كتاب ربنا وندرس سنة نبيه (ص) وندرك بعلمنا عوامل النصر، وأسباب الهداية التي بلغ بها سلف هذه الأُمّة أعلا مراتب الإنسانية المُسْلِمة، وحقق بها نصراً في الأرض وتمكيناً، أصبحنا نتشبّث بنظريات وضعية - متعارضة فيما بينها مختلفة في أهدافها - بعيدة كل البعد عن تعاليم ديننا، مخالفة لشرائعه، مباينة

لمقومات حياتنا الإسلامية، ولا نستثمر التربية القيمة التي وفرها لنا كتاب ربنا وسنة نبينا (ص) وظهرت ثمارها طيبة في سلوك سالف الأُمّة، الذين تلقّوا تعليمهم وتربّوا على يَـدَيْهِ (ص) وعـلى يَدَيْ أصحابه، رضي الله عنهم، في أنجح الطرق وأوضح الأسَاليب. تعليم مقرون بالعمل، وتهذيب مصحوب بالتدريب، مستقى من هدى الله، وكفى به هُدىً للمتقين ونهجاً للأبرار.

وقد اتضح لي أثناءَ تأملي للنظريات التربية الوضعيـة مدى التعارض بينها والاختلاف في أهدافها، وعجزها عن تحقيق تربية متكاملة تلائم حاجة الإنسانية في حياتها المادية والوجدانيـة وتسد لهفتها الروحية.

وحيث أن هذه الحاجة متوفرة في التربية الاسلامية وحيث اننا في حاجةٍ ماسة إلى إبراز مكانة هذه التربية المتكاملة وسموها على جميع النظريات، وتفوقها على ما سواها من الفلسفات، فإنني ألَّفت هذا الكتاب، مودعاً فيه أصولاً هامة من التربية الإسلامية، مقارنة مع أصول النظريات التربوية المختلفة، وقد أوضحت فيه مكـانة التربية الإسلامية ومدى ملاءمتها لاحتياجات البشريـة في صلاح معاشها ومعادها.

وذّيلت ذلك بتطبيقات موجزة لهذه التربية.

وأسأل الله تعالى أن يجعل التوفيق حليفنا، وأن ينفعنا بما علمنا من كتابه وسنة رسوله.

المؤلف

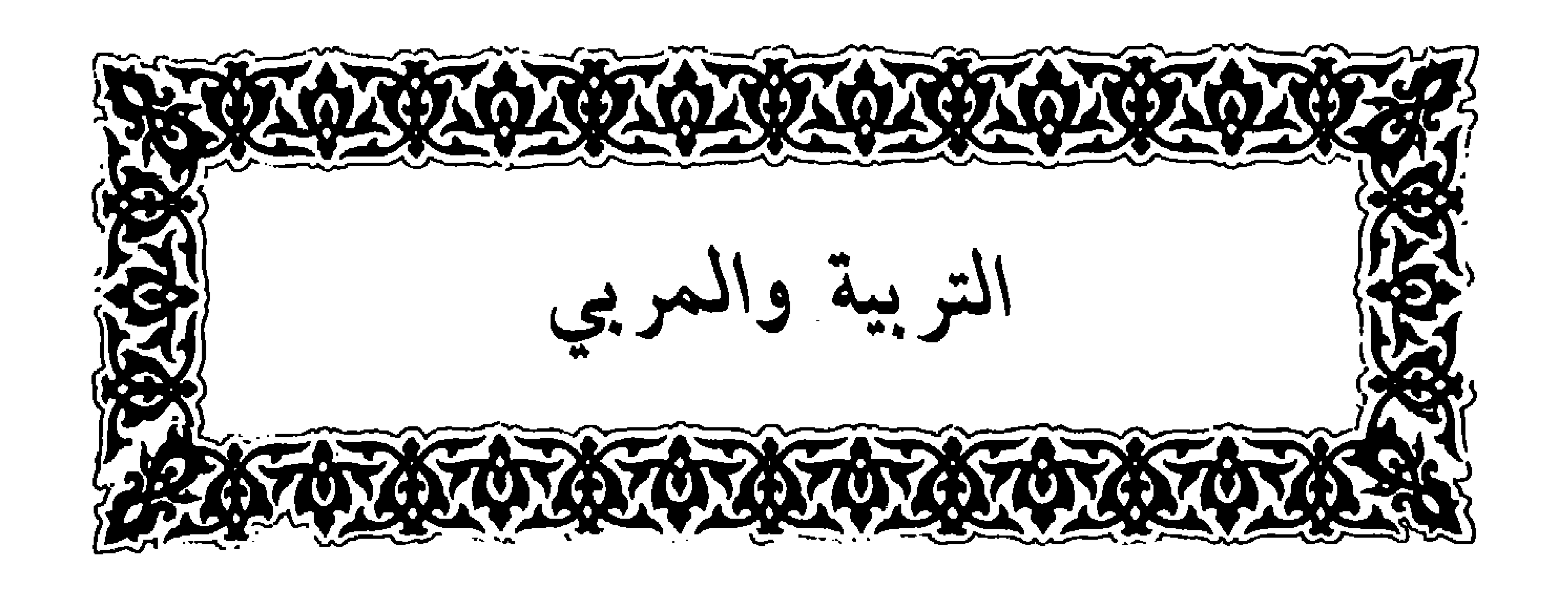
الرياض في ٢/٤/١٤٠١هـ

تمهيد

التربية الإسلامية بمفهومها الإسلامي تربية متكاملة المقاصد، تربية شاملة حافلة بكل ما يحتاج إليه الإنسان لإصلاح أمره من علم وعمل، من تهذيب وتأديب، غنيّة بما يروي لهفته الروحية وينقع غلّته النفسيّة ويشبع جوعته الجسميَّة من غذاء روحي نافع ومتاع مادي مفيد، كفيلة بتطوير النمو الإجتماعي للإنسان إلى جانب نموه الفردي، ليصبح وهو إنسان مؤمن قوي قادر على تحمل المسؤوليات وأداء الواجبات التي خصه ربه بها من بين سائر المخلوقات، مهيوء لتقبل التكاليف والقيام بها على هدى وبصيرة، محافظ على علاقته بربه محتفظ بصلته الإجتماعية الإنسانية، مستثمر خيرات بيئته لمنفعة الإنسانية وسعادتها.

فالتربية الإسلامية تربية متطورة صالحة لكل زمان ومكان، متضمنة لمصالح الإنسان، هادفة إلى تقويم سلوكه في أمر دينه وفي دنياه، كل ذلك في يسر، فهي تربية سمحة في تعاليمها، ناصعة في معالمها، ميسرة في مناهجها، حكيمة في تطبيقاتها. مشتملة على جانبي العلم والعمل، بريئة من أساليب العسف

والتسخير، بعيدة عن ضيق التزمت والتعقيد، سامية عن هوان الذُلّة والخنوع، تنفّر من الكسل والتواكل، تحث على الجدّ والعمل، تحفز على النشاط والمثابرة، وهي متدرجة مع قدرة الإنسان في مناهجها، متمشية مع إستطاعته في تطبيقاتها، مبيحة له ما يلائم فطرته السليمة، راسمة له طرق المحافظة على سلامته الجسمية وصحته العقلية، مبينةً له سبل السعادة والإطمئنان، ناهيةً له عن كل ما يتنافى مع هذه الخصائص التي لا تنمو شخصيته إلا بها، ولا يسعد في حياته ومعاده إلا بالأخذ بها، لم تكن مقصورة على علاقة الإنسان بربه، ولكنها متغلغلة في أعماق حياته المادية والروحبة والفكرية، لا تهتم بجانب دون آخر، رسمت للإنسان طريق السعادة، وزودته بنظام كامل للحياة. في حالتي الشدة والرخاء، في مقابلة العسر واليسر، نظمت مواقف الإنسان في الحياة، منذ أن كان جنيناً إلى نهاية مسيرة حياته، وحتى يصل إلى مدارج الحياة الآخرة، هيأت له نظاماً يكفل له السعادة في مأكله ومشربه، في لباسه ودثاره، في زينته ومباهج حياته، في علاقاته الإجتماعية وحياته الزوجية، في نومه وفي يقظته، في حريته الفردية وروابطه الإجتماعية، فهي ترويض روحي وتزكية نفسية وتطبيق عملي ومحجة بيضاء ومنهج قويم لصلاح الدنيا وفلاح الآخرة.



التربية والمربي

«التربية معناها التنشئة والتنمية، وهي تشمل كلّ ما ينمو من حيوان أو نبات، وهي في كل بما يناسبه، والإنسان أحوج إلى التربية من جميع الكائنات، وفي تربيته تعقيد كبير لأن الغاية التي ترمي إليها تربية الإنسان سامية، وقد منحه الله غرائز وميولاً وقوى موروثة ولا يمكن الإفادة منها إلا إذا تعهدها المربي ونمى الصالح منها وأصلح المعوج»[1].

وفي تفسير قول الله تعالى ﴿الحمد لله ربُّ العالمين﴾ يقول القرطبي: رَبُّ العالمين، أي مالكهم، والربّ: المصلح والمدبر والجابر والقائم، قال الهروي وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه، قد ربَّه يربه فهو ربّ له وراب.

والرب إسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلّا بالإضافة، وقد أختلف في إشتقاقه، فقيل: مشتق من التربية، فالله سبحانه مدبر الخلق ومربيهم فعلى أنه مدبر خلقه ومربيهم يكون صفة فعل، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة

---

(١) أصول التربية ونظام التعليم، ص (٣) تأليف د. عبد الواحد وافي وزملائه.

ذات. وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره: الرب هو المربِّي جميع العالمين وهم من سوى الله بخلقه لهم وإعداده لهم الآلات وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء.

قلت: من تفسير هذه الآية الكريمة يتضح لنا معنى التربية في الإسلام، فهي تتضمن تدبير الأمر وإتمامه كما تعني الإصلاح وتوفير أسباب النمو والرعاية، كما أن العبارة السابقة في تعريف التربية لا تختلف عن ما تضمنه مفهوم الآية الكريمة، فهي تفيد أن التربية تعني تنمية ميول الإنسان وقواه الموروثة، وإصلاح ما إعوج منها ليستقيم سلوكه وتهذب أخلاقه. وجاء في الحديث «هل لك من نعمة تربها عليه».

قال في النهاية: أي تحفظها وتراعيها وتربّيها كما يربّي الرجل ولده، ويقال ربّ فلان ولده يربّه ربّا وربَبَه رباه كله بمعنى واحد.

وحديث لا تأخذ الأكولة ولا الربّى ولا الماخض.
الرّبى التي تربّى في البيت من الغنم لأجل اللّبن.

وحديث «ليس في الربائب صدقة» والربائب: الغنم التي تكون في البيت وليست بسائمة، واحدتها ربيبة بمعنى مربوبة، لأن صاحبها يرّبها.

قلت ما دلت عليه هذه الأحاديث في معنى التربية لا يختلف عن ما تضمنته الآيات القرآنية الكريمة في هذا المعنى، فإن

ما تضمنته الأحاديث يعني المحافظة والرعاية والتنمية والإصلاح وكذلك ما تضمنته الآيات الكريمة فإنه يشمل هذه الأغراض أيضاً.

وقال البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما: كونوا ربانيين حكماء علماء فقهاء، ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وعن بن مسعود رضي الله عنه، كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا.

من هذه الأحاديث الشريفة يتّضح لنا أنّ المربي هو من ينهج في تربيته منهجاً حكيماً وييسر للمتعلم تحصيل العلم بعيداً عن الملل، ويغرس في نفسه الأمل وينمي عنده الرغبة في التزود من المعرفة حتى يبلغ الغاية، ولا يكلفه فوق مقدرته ولا يروم منه ما يعجز عن إدراكه، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، هو أوّل مربٍ في الإسلام وأول معلم لهذه الأمّة، وقد رسم طريقة مثلى للتربية والتعليم تجمع بين تحصيل العلم وإصلاح العمل بين طريقة الفهم وتهذيب السلوك، وسأبين ذلك في موضعه إن شاء الله.

وقد جرى تعارف الناس قديماً على تسمية المربي (مؤدباً) لأنه يعلم الناشئة ويربيهم على العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة يهذب أخلاقهم ويروض نفوسهم، وقد إعتاد الأمراء وذوو اليسار أن يتّخذوا مربّين خاصين لأبنائهم يختارونهم ممن عرفوا بسعة الإطلاع في فنون الآداب والمعرفة.

قال البرد: يروى عن عمر بن عبدالعزيز أن قال لمؤدِّبه كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني فقال أحسن طاعة[1].

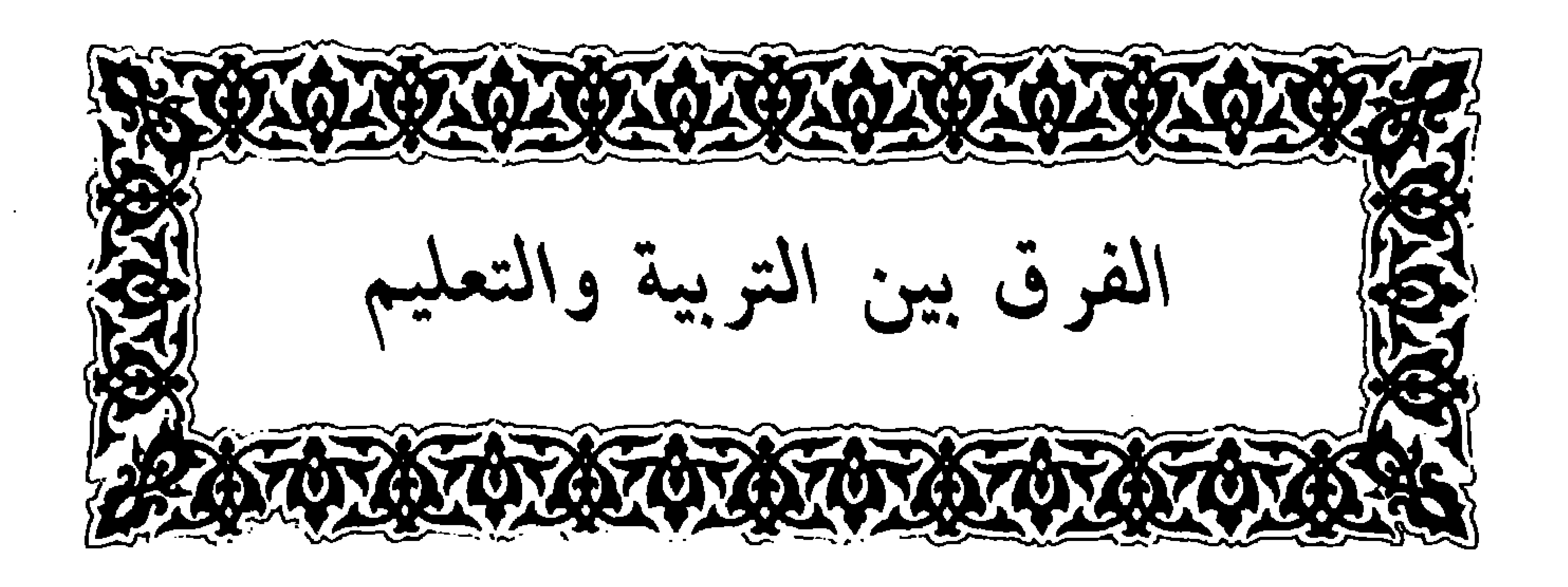
وفي حديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: أدَّبني ربّي فأحسن تأديبي. قال في فيض القدير أي علَّمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة، والأدب يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة، (فأحسن تأديبي) بأفضاله علي بالعلوم الكسبية والوهبية، وقال بعضهم: أدَّبه بآداب العبودية وهذَّبه بمكارم الأخلاق. قلت: ومن إستقراء ما سبق يبدو لنا أن التأديب في القديم لا يختلف في أهدافه عن التربية في هذا العهد، وأن المربي لا يختلف في مهمته في هذا العهد عن المؤدب في ذلك العهد، وإنما جرى الإختلاف في الطريقة والأُسلوب. وقال الدكتور أحمد فؤاد الأهواني: قيل عن المعلم إنه «مؤدِّب» في الإصطلاح القديم، وهو الذي يسمى «المربِّي» في الإصطلاح الحديث[2].

قلت: وبهذا يتبين لنا معنى التربية في فهم العلماء المسلمين وعمل المربي وما يتعلق بمهمته التربوية.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ج١ ص ٢١٤.

(٢) التربية في الإسلام، ص ١٤.



الفرق بين التربية والتعليم

التربية: تعبير واسع المعنى، تدخل ضمنه نواحي التربية الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والإجتماعية، وقد إشتمل القرآن الكريم وهدي الرسول، صلى الله عليه وسلم، على منهج متكامل لهذه الجوانب التربوية، وقد سبق أن بيَّنت معنى التربية من الناحية اللغوية وسأتحدث عن هذه الجوانب في محلها من البحث إن شاء الله.

والتربية أشمل في معناها من التعليم إذ هي تعني تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق وإصلاح ما اعوج من الميول والقوى الموروثة وتوجيهها وجهة سليمة، ففي هذه الحالة فليس التعليم إلا وسيلة من وسائل التربية، فالتربية تعتمد وتستمد من مصادر متعددة، كالقدوة والمحاكاة في السلوك والتشرّب لعادات المجتمع وتقاليده والتطبّع بطابع الأسرة والرفاق، والتأثر بالوعظ والإرشاد وما يلقى في المساجد من الخطب والتوجيه إلى غير ذلك من العوامل الإجتماعية التي يتكيّف الإنسان معها فتساهم في تشكيل سلوكه ومميزات تربيته.

وقد تقترن التربية بالتعليم كما في تعليم النبي، صلى الله عليه وسلم، لأصحابه، قال الله تعالى: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾[1].

قال القرطبي: يزكِّيهم أي يطهرهم من وضر الشرك. وقال بن كثير: يزكيهم: أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبّسين به في حال شركهم وجاهليتهم.

(ويعلمهم الكتاب والحكمة). قال القرطبي: الكتاب القرآن والحكمة المعرفة بالدين والفقه في التأويل، وقال قتادة: الحكمة السنة وبيان الشرائع.

ونسب التعليم إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، من حيث هو يعطي الأمور التي ينظر فيها ويعلم طريق النظر بما يلقيه الله إليه من وحيه.

ومنه ما روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يعلم أصحابه عشر الآيات من القرآن فلا يتجاوزونها إلى عشر أُخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلّمهم القرآن والعمل جميعاً.

فهذه الطريقة التربوية التي تجمع بين التعليم والعمل وتهذيب الأخلاق وترويض النّفس كما في طريقة النبي، صلى الله

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

عليه وسلم، هي أكمل الطرق التربوية وأنجحها، كما ورد ذلك في الآية الكريمة والحديث الآنف الذكر، فإن في قوله تعالى (ويزكِّيهم) تربية كاملة، حيث فسره القرطبي بالتطهير وفسّره بن كثير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتزكية النفوس وتطهيرها من الدنس، وأيّ تربية أكمل من فعل المعروف واجتناب المنكر وتزكية النفس وتطهيرها من الدنس والخبث.

وقوله تعالى (ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ) مشتمل على الجانب التعليمي، حيث فسَّره المفسّرون بأنه تعليم المعرفة بالدين والفقه في التأويل وبيان الشرائع.

ومما سبق يتضح لنا مدى علاقة التربية بالتعليم والفرق بينهما. حيث تبين لنا أن التربية تعني تهذيب السّلوك وترويض النفس وتزكية الأخلاق، بينما يتضمن معنى التعليم نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم، ومن تدبر الآية الكريمة السابقة وأمثالها من الآيات والحديث السابق وما في معناه من الأحاديث إتضح له ذلك بجلاء.



التعليم

سبق أن ذكرت أن التعليم هو نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم، إذن فإنه يعني الثقافة الذهنية واستيعاب الحقائق المجردة، ولا يستلزم إقترانه بالعمل أو تغيّر سلوك المتعلم ما لم يكن ذلك مقصوداً في عملية التعلم مستهدفاً له من جانب المعلم والمتعلم معاً، وليس كل متعلم يكيّف سلوكه وفق ما تعلمه من فنون الآداب والأخلاق، وفي هذه الحالة يكون التعلم مجرد تحصيل علم واكتساب معرفة، ولكنه لا يشتمل على تربية سلوكية تمثل صفات المتعلم الخلقية والأدبية، أما حينما يقصد بالتعليم تهذيب سلوك المتعلم وتزكية نفسه وتثقيف أخلاقه كما في تعليم النبي، صلى الله عليه وسلم، فإنه حينئذ يكون تعليماً مقترناً بالتربية الناجعة الأقوى تأثيراً وأبقى أثراً، وحينئذ يؤتى ثمرته طيبة نافعة ويحقق للمتعلم ما فيه صلاحه وفلاحه وما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والسعادة.

ومن أمثلة العلم الذي لم يؤثر في سلوك متعلمه ما ذكره الله عن اليهود في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوْا التَّـوْراةَ ثمّ لَمْ يَحْمِلُوْها كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[1].

قال بن كثير: أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها.

(١) سورة الجمعة، الآية (٥).

«فمن فرقوا بين التربية والتعليم نراهم قد بالغوا، لأنه من المبالغة أن يقصروا التربية على الخلق وغرس العادات، وأن يقصروا التعليم على جميع المعلومات والحقائق، لأن التعليم قد يطلق على التربية حين يكون التعليم مراداً به تعديل السلوك، لا تحصيل الحقائق وحدها، فبفضل الحقائق ينمو الميل عند المتعلم إلى تكوين عادات وصفات، وهذا ما يسمّى «الأثر النفسي»[1]. «ولقد التبس الأمر على الكثيرين فجعلوا التربية والتعليم شيئاً واحداً مع أن المدة التي يقضيها المتعلم في المدرسة ليست إلّا جزءاً من وقت نموه تسبقها فترة يتعرّض فيها لعوامل التربية وتتلوها فترة أخرى يقضيها في غمار المجتمع الواسع.

وكل ما تفعله المدرسة في هذه الناحية أن تمده بقدر من العلم يتخذه أساساً لفهم تجاربه المستقبلية ويستعين به في فهم ما يقابله من مشاكل الحياة، والتربية تهتم بالإنسان من جميع نواحيه المادية والمعنوية بينما نجد ان التعليم يتناول جانب العقل فقط، غير أن التفرقة بين التربية والتعليم إذا بلغت حدّ المغالات، فيها شيء من التعسّف، فإن التعليم حين يكون منطوياً على تعديل السلوك لا مجرد تحصيل حقائق، ينمي ميل المتعلم إلى تكوين عادات وصفات، وهو ما عبر عنه البعض بالتعليم المصاحب»[2].

ومما تقدم يتضح لنا معنى التعليم وصلته بالتربية في آراء المربين قديماً وحديثاً.

---

(١) أصول التربية ونظام التعليم. ص ١١ د. علي عبدالواحد وافي وزملائه.

(٢) أصول التربية وعلم النفس. بتصرف، تأليف محمد رفعت رمضان وزملائه، ص ١١-١٢.



أهداف التربية الإسلامية

إن معرفة الهدف من التربية أمر ضروري بالنسبة للمربِّي، وعلى معرفة الأهداف التي ترمي إليها التربية وعلى تحديد معالمها يتوقف أمر توجيه التربية نفسها، وعلى مقدار فهم المربِّي لأهداف التربية يكون نجاحه، كما أنه على مقدار معرفته لهدفه وتشخيص مراميه التربوية تكون مدى إستطاعته تقييم منهجه التربوي وما حققه في هذا الصدد من نجاح، وهل كان سائراً على طريق سوي صوب الهدف المنشود؟.

قال الدكتور الأهواني: الغرض من التعليم عند القابسي وعند فقهاء أهل السّنة جميعاً هو معرفة الدين علماً وعملاً، وتمييز الغرض في الذهن ضروري لتحديد وسائل العمل[1]. ونذكر هنا بعضاً مما قاله الدكتور عبدالواحد وافي، في هذا الصدد بتصرف: لم تغفل الأمم الإسلامية في عصورها الذهبية، ولم يغفل مفكرو الإسلام أي غرض من أغراض التربية، فاتجه قسط من جهود هذه الأمم وعناية هؤلاء المفكرين إلى التربية الجسمية والحربية وتربية المهارة والإلمام بالصناعات، واتجه قسط كبير من جهود هذه الأمم

(١) التربية في الإسلام، ص٩٩.

وعناية مفكريها كذلك إلى التربية العقلية وشحذ ملكات الإدراك وكسب العلوم والمعارف.

وأما الناحية الدينية والخلقية فقد إستأثرت بأكبر قسط من عناية الأمم الإسلامية ومفكريها، فكان التفقه في الدين والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذائل أسمى غايات التربية الإسلامية، ومن أهم أسباب ذلك أن الدين الإسلامي ليس كالأديان التي تقتصر على أمور العبادات وعلاقة الإنسان بربه، بل يتغلغل في صميم الحياة الإجتماعية وينظم جميع شؤونها ويضع القواعد لمختلف مناحيها[1].

وقال الدكتور محمد فاضل الجمالي: يمكن تلخيص أهداف التربية التي جاء بها القرآن الكريم بما يلي: [2]

١ - تعريف الإنسان (الفرد) بمكانته بين الخليقة وبمسؤولياته الفردية في هذه الحياة.

٢ - تعريف الإنسان بعلاقاته الإجتماعية ومسؤولياته ضمن نظام إجتماعي إنساني.

٣ - تعريف الإنسان بالخليقة (الطبيعة) وحمله على إدراك حكمة الخالق في إبداعها، وتمكين الإنسان من إستثمارها.

٤ - تعريف الإنسان بخالق الطبيعة وعبادته.

هذا ومع أن الأهداف الأربعة مترابطة مع بعضها إلَّا أننا نعتبر الأهداف الثلاثة الأُولى تؤدي إلى الهدف الرابع، فهي واسطة لبلوغ

---

(١) أصول التربية ونظام التعليم، ص١٨-١٩.

(٢) الفلسفة التربوية في القرآن، ص١٣.

الهدف الرابع الذي هو معرفة الله، وتقوى الله، فالهدف الأعلى للتربية الإسلامية إذن هو معرفة الله وتقوى الله.

من دراسة ما سبق من آراء المربين يتضح لنا أن أسمى أهداف التربية الإسلامية هو معرفة الله وتقواه ومعرفة الدين علماً وعملاً والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذائل، وقال آخرون إن أهداف التربية الإسلامية مضمنة في قوله تعالى (وآبتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[1] على ما يبدو من ظاهر الآية الكريمة، وهو إشتمالها على ناحيتي أمور الآخرة وما يلزم لها من التزود من الأعمال الصالحة، وأمور الدنيا، وهو الأخذ من طيباتها بنصيب، وهذا الإتجاه لا يختلف عن قول بعض المفسرين في تأويل الآية.

قال القرطبي في تفسيره[2]: قوله تعالى (وآبتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة) أي أطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الأخرة» وهي الجنة، فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي، قوله تعالى (ولا تنس نصيبك من الدنيا) آختلف فيه؛ فقال ابن عباس والجمهور: لا تضع عمرك في أن لا تعمل عملاً صالحاً في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها.

فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة، وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك، وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر رضي الله

(١) سورة القصص، الآية (٧٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٣ ص٣١٤.

عنهما في قوله: آحرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، وآعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وعن الحسن: قَدّم الفضل وأمسك ما يبلغ، وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف.

وقال بن القيم رحمه الله: ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً، وشرفه لشرف معلومه تابعاً، كان أشرف العلوم على الاطلاق علم التوحيد، وأنفعها علم أحكام العبيد[1].

قلت وبهذه العبارة يقرّر بن القيم أن أشرف العلوم هو علم توحيد الله وما يشتمل عليه من إخلاص العبادة لله، والتنزه من أوضار الشرك وكل أمر ينقص من كمال التوحيد والإخلاص لله في القول والعمل، كما يقرر أن أنفع العلوم هو العلم بالأحكام المتعلقة بأمور العباد وأحوالهم، في معاشهم ومعادهم وعلاقاتهم الإجتماعية، وقد نبَّه على وجوب إقتران العلم بالعمل، في هذه الأحوال، وهذا هو ما يتحقق به معنى التربية الكاملة.

وقال محمد شديد: خلقت رسالة الإسلام من الفرق وحدة ومن الضعف قوة، ومن الأميّة علماً، ومن الحفاة العراة خير أمة أخرجت للناس.

ذلك سرّ القرآن وعمل منجهه التربوي في تقويم النفوس والأمم، وأثر تطبيقه في الجماعة والدّولة، وعناصر الرسالة: عقيدة وعبادة وتشريع، فالعقيدة أصل وفطرة، والعبادة صلة وتربية، والتشريع أمن ونظام، وجوهر الرسالة خلق وإحسان ووسيلتها قدوة وتربية، وأول ميادينها النفس والضمير.

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١ ص(٥).

ومن ثم كان هدفها إقامة مجتمع إنساني نظيف، نظيف العقيدة، نظيف العلاقات، نظيف المشاعر والسلوك، تبدأ بالفرد فترده إلى فطرته السليمة، وتربِّي فيه الضمير المرهف الحسّاس، وتروّضه على الخلق الكريم الفاضل، وتقيم الأسرة على المودة والفضل والرحمة، وتكون المجتمع على الحب والتكافل والعدل، وتنظم العلاقة بين المجتمعات على أساس الوفاء والحق.

وتربية القرآن شاملة، فهي لا تقتصر على المسجد أو المعهد، ولا تختص بالعبادة دون السلوك. أو تهتم بالفرد وتترك المجتمع، أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل، ولكنها تشمل كل جوانب النفس، وتعمل في كل ميادين الحياة، وعلى أساس هذا الشمول يقوم منهج القرآن في التربية [1]. قلت: مما تقدم يتضح أن التربية الإسلامية تتصف بالشمول والتكامل، وتتميز بالعموم في أهدافها وتحقق التكافل، فهي لا تهتم بجانب من جوانب الشخصية دون آخر، ولا تعنى بأمور معاد الإنسان وتهمل شؤون معاشه، ولا ترسم له منهج عبادته تغفل نهج سلوكه، ولكنها تهتم بهذه الجوانب كلها وتوليها عناية كاملة تحقّق التوازن والتكامل بين جوانب الشخصّية، بحيث لا يهمل الجانب المادي بجانب الناحية الروحية، ولا يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» [2] قال القرطبي: قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو

---

(١) منهج القرآن في التربية، بتصرف ص (٦-٩).

(٢) سورة الأعراف، آية (٣١).

ما سد الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس[1].

فالتربية الإسلامية لم تهمل من أمر الإنسان شيئاً، بل وضعت له نظاماً شاملاً لحياته، ورسمت له معالم طريق الهداية، وسمت به إلى أعلا مراتب المحبة والإخلاص لخالقه ومربيه، وأوضحت له نهج الحق ليسلكه في حياته الفردية والتزاماته الإجتماعية، وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق، قال القرطبي: روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أدَّبني ربِّي تأديباً حسناً إذ قال: خذ العفو وآمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، فلما قبلت ذلك منه قال: إنك لعلى خلق عظيم[2].

قال القرطبي: قوله تعالى (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله (وآمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار والإستعداد لدار القرار، وفي قوله تعالى (وأعرض عن الجاهلين) الحضّ على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة[3].

وقال البخاري: خذ العفو وآمر بالعرف: العرف المعروف، وعن بن الزبير: ما أنزل الله إلّا في أخلاق الناس[4]. وقال سيد قطب: إنهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص١٩١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٨ ص٢٢٧-٢٢٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣٤٤.
(٤) صحيح البخاري، ج٢ ص٦٦٩.

- في الجيل الأول - لم يكونوا يقربون القرآن بقصد الثقافة والإطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع، لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته، إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يحسّ أنّه إنّما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها، كما جاء في حديث بن مسعود رضي الله عنه.

إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلّا لمن يقبل عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل، إنه لم يجيء ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته - إنما جاء ليكون منهاج حياة منهاجاً إلهياً خالصاً.

وقد مرّ ذكر قوله تعالى ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1]. قال بن كثير: يزكّيهم. أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث. كقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

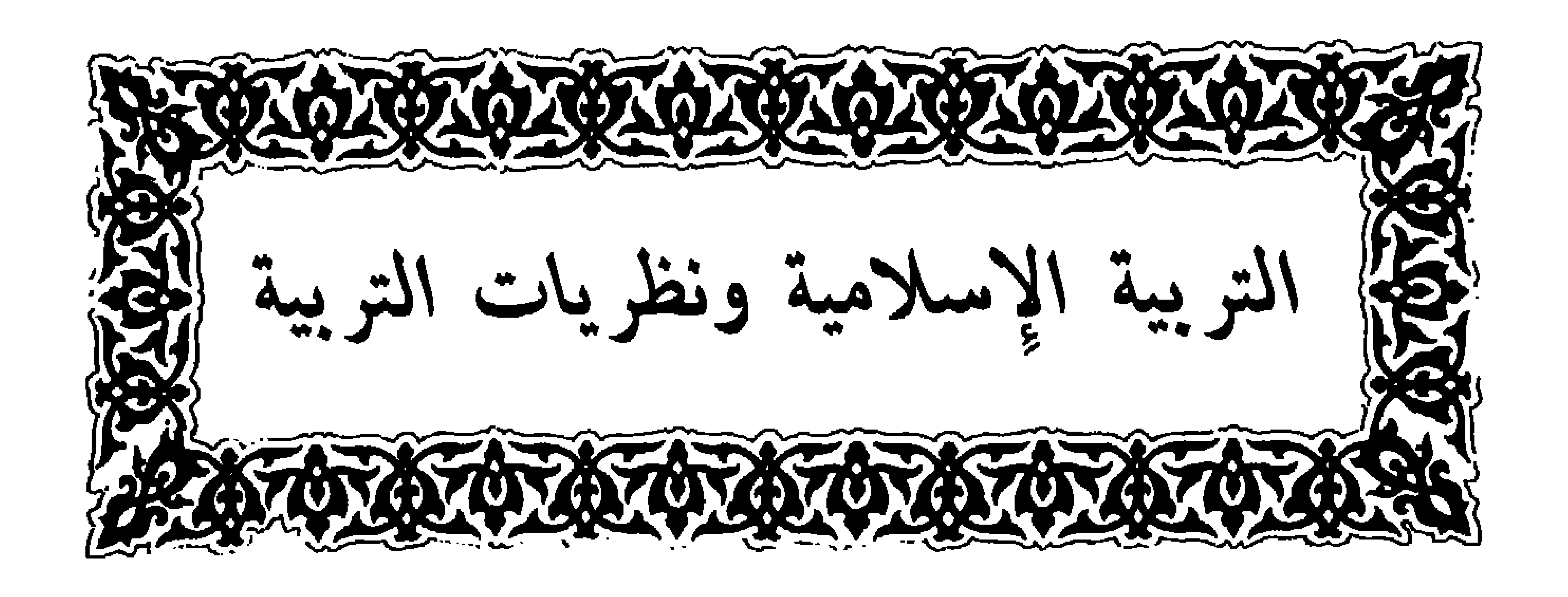
قلت: وبتدبّر النصوص القرآنية الكريمة ندرك أن التربية تتحقق في إيمان المرء بربِّه وإخلاصه له في عبادته، وفي نظافة سريرته واستقامة سلوكه، وأن آثارها تبدو في التزود من الأعمال الصالحة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والتمتع بالطيبات من الرزق، والإبتعاد عن كل ما حرم الله على عباده، ولن يتم ذلك له إلاّ بإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والتمسك بهديه، «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: قد تركتكم على البيضاء: ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) فيض القدير، للمناوي، ص٥٠٦ ج ٤.



التربية الإسلامية ونظريات التربية

قال الأستاذ سعد عبدالسلام حبيب: العلاقة بين التربية والفلسفة علاقة وثيقة، فما النظريات التربوية إلّا صدى للمذاهب والأفكار الفلسفية التي تسود عصراً من العصور. لقد كان سيرجون آدمز (J. Adams) يقول لتلاميذه دائمًا إن التربية هي المظهر الفعال (الديناميكي) للفلسفة، بمعنى أنها الجانب التطبيقي والوسيلة العملية لتحقيق المثل العليا[١].

ويقول الأستاذ جيمس. س. روس. إنّ العلاقة بين الفلسفة والتربية وثيقة حتى ليمكن القول أنهما مظهران مختلفان بشيء واحد، أحدهما يمثل فلسفة الحياة والآخر طريقة تنفيذ تلك الفلسفة في شؤون الإنسان[٢].

قلت: مما قاله هذان الأستاذان في عبارتيهما السابقتين يتبين أن التربية الحديثة تستمدّ أهدافها وترسم مناهجها على أسس من النظريات الفلسفية المتعددة، والتي تختلف في أغراضها ومناهجها بين

(١) مقدمة كتابه، أسس التربية الحديثة.

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية، ص(٣).

زمن وآخر وبين أناس وآخرين. فلا تتفق على أهداف ثابتة وغايات مرسومة يمكن أن تكون صالحة لكل زمان وكل مجتمع إنساني سليم، كما هي الحال في أهداف التربية الإسلامية وغاياتها الصالحة لكل زمان وكل مجتمع إنساني.

ويقول الأستاذ جيمس: إن العقيدة الفلسفية في غاية الأهمية لمعتنقها لأنها تنير له طريق الحياة ويترتب على ذلك أن تقوم فلسفات مختلفة نتيجة لأساليب الحياة المختلفة[١].

ويقول سيربرسي نن[٢]: يرى البعض أن الغرض من التربية هو تكوين الأخلاق، بينما يرى آخر أنه «الإعداد للحياة الكاملة» ويقول ثالث أن غرضها تكوين «العقل السليم في الجسم الصحيح» وهكذا يمكن أن نمضي في سرد سلسلة طويلة من هذا النوع، ويبدو للقارىء من أول وهلة أن كل غرض من هذه الأغراض صحيح أو مقنع في حدِّ ذاته، ولكن إذا أمعنا النظر في هذا الأمر وتساءلنا على أي نوع من الأخلاق نريد أن نكون؟ أو ما صفات العقل السّليم؟ أو ما أنواع النشاط التي تتضمنها الحياة الكاملة؟ إتفقنا وكيتنج (Dr. M. W. Keatinge) الذي قرر بصفة قاطعة أن من الصعب تعيين غرض عام للتربية، وأن ما يبدو من نجاح هذه المحاولات لتحديد غرض عام للتربية ليس إلّا وهماً خاطئاً سببه الرئيسي هو أن كل واحد يستطيع أن يؤول هذه الأغراض حسبما شاء داخل نطاق واسع الحدود، فمثلاً فكرة زيد عن الأخلاق المثالية ربما كانت مضحكة أو

---

(١) المصدر السابق، ص(٦).

(٢) التربية مادتها ومبادئها الأولية، ص(٨).

محتقرة عند عمرو، وما يعتبره شخص ثالث حياة كاملة بالنسبة له ربمّا إعتبره غيره موتاً ثقافياً، وما قد يظنّه آخرون عقلاً سليمًا في جسم صحيح، ربما إعتبره غيرهم عقلاً غراً في جسم همجي، على أنه يمكن الوصول بسهولة إلى مصدر هذا الخلاف؛ فكل نظام تربوي يقوم على فلسفة عمليّة خاصة تتصل بالحياة إتصالاً وثيقاً، ولما كان كل غرض تربوي محسوس يرمي إلى تحقيق مثل أعلى، ولما كانت المثل العليا للحياة دائمة التغير والإختلاف إنتظر صراعاً دائمًا يظهر في نظريات التربية.

ويلاحظ أكثر من هذا الإختلاف بين مذهب وآخر في التربية أننا نجد أصحاب المذهب الواحد كذلك ينقسمون فيما بينهم أخزاباً متضاربة، فمنهم من يميل إلى المذهب وهو على شكّ منه، ومنهم من يثور عليه سراً، ومنهم من يغالي فيه ويرى أن الرشد في جانبه.

وهكذا نجد أن روّاد التربية في تناقص مستمر، فلا يكاد الباحث عن الحقيقة يعرف أي طريق يسلك، ويرجع السبب الرئيسي لهذا الإختلاف إلى تركيب الطبيعة البشرية.

ويقول سيربرسي نن: إننا نستطيع أن نحكم بأنه لا يمكن أن يكون هناك غرض عام للتربية ما دام هذا الغرض يحقق مثلاً أعلى من مثل الحياة، وذلك لأن هذه المثل تتعدد بتعدد الأفراد[1].

ويقول جيمس. س. روس: أما إختلاف النّاس في الغرض من التربية فأمره واضح، إذ يرجع إلى أن التربية ترمي إلى المثل

---

(١) التربية مادتها ومبادئها، ص (١٢) س. ب. س.

العليا في الحياة. وما دامت هذه المثل مختلفة فكذلك تختلف الأغراض، فهربرت سبنسر مثلاً، يرى أن الغرض من التربية هو الحياة الكاملة وليولا - أحد رجال الدين المسيحي ومؤسّس جمعية يسوع المسيح - ينادي بأن الغرض من التربية هو السعادة الأخروية وتمجيد الخالق سبحانه وتعالى. ويعتقد ملتن أن الغرض من التربية هو إصلاح ما أفسده الآباء وذلك بمعرفتنا لله حقّ المعرفة ومحبّتنا له، والتزامنا طريقه، بفضل إكتسابنا للفضائل[1].

وهكذا نجد أن هربرت سبنسر يأخذ جانب الحياة الدّنيا، ويرى أن التربية يجب أن تستهدف الإعداد لشؤون الحياة الدنيا بينما نجد أن كلاّ من ليولا وملتن يأخذ جانب الحياة الآخرة، مهملاً أمر الدنيا، ولتباعد وجهات النظر بين هؤلاء المربين فإنه يصعب التوفيق بين آدائهم.

«ويرى الفيلسوف الكبير ديكارت أن الإنسان مؤلف من عنصرين منفصلين: جسم وروح، ولكل منهما خصائص تميزه عن صاحبه، وقد أدّى ذلك إلى شيوع الفكرة الثنائية، فكرة إنفصال الجسم والرّوح. وآمتياز كلّ منهما بمميّزات يُعرف بها، فالأحداث العقلية والأحداث المخّية ليست واحدة، بَل يتوازيان توازياً تاماً، ومن هنا نشأتْ مشكلة العقل والجسم»[2].

وهذه الثنائية التي أصبحت فكرة شائعة تقوم على أساس من النظرية الفلسفّية التي يرى أصحابها أننا نعيش في عالمين، عالم

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية، ص (١٢-١٣). ج. س. روس.
(٢) الأسس العامة لنظريات التربية، ص(٤١) ج.س.روس.

الظاهرات الطبيعيّة، والعالم الذي نكوّنه نحن من تجاربنا الخاصّة، بمعنى أنّ قطبي الثنائية في المشكلة الميتافيزيقية هما المادة والعقل، ثم إنتقلت إلى الإنسان فأصبحت مشكلة الجسم من ناحية والرّوح من ناحية اخرى، والجسم هو المادة والروح هي العقل.

قلت: والتربية الإسلامية بتعاليمها لا تقبل هذه الثنائية التي تجزّىءالإنسان، جسمًا، وروحاً، يعمل كلّ منهما في إتجّاه منفصلاً عن الآخر وموازياً له أو مخالفاً له، وقد عنيَت التربية الإسلامية بالإنسان ككلّ متكامل عقله وروحه وجسمه، جانبه المادّي وجانبه الرّوحي والعقلي. وسأتحدث عن ذلك في موضعه إن شاء الله.

ويرى أصحاب الفلسفة «البراجماسيّة» أو فلسفة الذرائع،- وهي ذاتُ أثر كبير في التّربية -أن العالم في تغيرّ مستمرّ، وهم لذلك ينكرون أيّ نظرّية تدعو إلى إثبات القيم وخلودها، ويرون وجوب توثيق عَلاَقة الفلسفة بالحياة، وبكلّ ما يهمّ الإنسان، فهي في جوهرها فلسفة إنسانية تقول «بأن الإنسان هو الخالقُ لمثله في ميادين نشاطه»[1].

فهذه الفلسفة نفعيّة ترى أنّ العمل والمنفعة هما مقياسُ الحكم، ولا تبعد هذه الفلسفة في جوهَرها من مذهب السّفسطائيين، ذلك المذهب الذي لم يتقيّد أصحابه بالقيود الخلقيّة، ولم يعتدّوا بعرف، بل إنهم قد نشروا فكرة نسبيّة الحقّ والباطل، فالحق حق بالنسبة لصاحبه، والباطل باطل على حسب ما يتراءى

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية، ص(٥٩) ج. س. روس.

للإنسان، وما هو حقّ في وقت معينّ ومكان معينّ قد يكون باطلاً في زمان آخر والعكس كذلك.

وبينما نجد أن السفسطائيين يرون أن الحق أمر نسبي وأنهم لم يعتبروا أيّ قيد خلقي فإننا كذلك نجد أن النفعيين يرون أن العقائد التي تجلب النفع يجب إعتناقها. وفي هذا ما فيه من خطورة، فإن إعتناق العقيدة لمجرّد منفعتها العاجلة قد يؤدي إلى الإنحلال الخلقي.

«وما دام النفعيون ينكرون أن للقيم وجوداً ذاتياً سابقاً، فإنهم لا يستطيعون أن يتقدموا بهدف واضح للتربية»[1].

وبعد هذا العرض لإختلاف المذاهب الفلسفية في أهداف التربية فإنني سأتحدث بصورة موجزة عن آثار هذه المذاهب وتطبيقاتها التربوية لنبيّن مدى إختلافها، وتعارضها بصورة أوضح.

ويقول الأستاذ ج. س. روس: يجب أن لا نتوقع أنه في الإمكان أن نطلق على نظرية من النظريات إسمًا خاصاً بها فنسميها طبيعية أو مثالية أو عملية، لأن هذه النظريات ليست واضحة ذلك الوضوح الذي يجعلنا نطلق عليها هذا الإسم أو ذاك. ولكننا نستطيع أن نقول إن هناك ميزات تربوية عامّة تميز كل مذهب من هذه المذاهب الفلسفية، وتجعلنا نضعه وضعاً فلسفياً خاصاً[2].

وحينما نلتمس تعليلاً لما قاله الأستاذ جيمس بعدم وضوح النظريات الفلسفية نجد أن ذلك يأتي من جانب تأرجح أصحابها في

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية، ص٦٤، ج. س. روس.

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية ص ٦٩، ج. س. روس.

أهدافهم وطرق تحقيقها، فمثلاً: جان جاك روسو يعدّ من رواد المذهب الطّبيعي إن لم يكن زعيمه وهو مثالي في أهدافه متأرجح بين المثالية مرة والطبيعية مرة أُخرى، وهكذا نجد كثيراً من الإختلاف والتعارض بين المذاهب الفلسفية والنظريات التربوية.



المذهب الطبيعي

إن غرض الطبيعيّين من التربية هو «التعبير عن الذات» أي عمل كلّ ما تهواه النّفس دون كبح أو ضبط أو تقييد بعرف أو تقاليد، وينادي روسو - وهو زعيم هذا المذهب - بإبعاد الطفل عن أبويه وعن المجتمع وعن المدارس كي يربى وفق الطبيعة وبين أحضانها على يد «مؤدب طبيعي» خاص، ويرى أن التربية الصحيحة هي أن نسمح لطبيعة الطفل وقدراته وميوله بالنمو دون أي تدخل أو إشراف بقدر الإمكان[1].

وفي تنفيذ هذا المنهج الّذي نادى به روسو وأتباعه نجد أن تثقيف كل طفل رهن بظروفه الخاصة، وقد لا يصل به ذلك إلى إكتساب ما بذل المجتمع البشري أضخم المجهودات خلال ملايين السنين للحصول عليه من تراث حضاري، بل قد يؤدي به ذلك المنهج إلى التهلكة، فلا يعود يسمح له بالإستفادة من ثمرة تجاربه، فمنهاج روسو ينقصه عنصر التحديد والانتقاء، كما ينقصه عنصر التوجيه والإرشاد[2].

(١) أسس التربية الحديثة، ص(٢١) سعد عبدالسلام حبيب.

(٢) أصول التربية وعلم النفس، ص(٢٠٠)، محمد رفعت رمضان وزملائه.

ويقول جيمس. س. روس: وتظهر مبادىء الحركة الطبيعيّة في التربية جليةً واضحةً في كتب الأستاذ (A.S.Neill). إعتقد نيل (NEILL) أنّ السّعادة هي غرض التربية، واعتقد أنّ الحرّية ضرورية لأنها سبيل النمو الطبيعي لكل طفل، ولذلك لا يعبأ بأي نوع من أنواع النظام أو أيّ توجيه أو إيحاء، أو أي تربية دينية أو خلقية[1]، ومن الملاحظ أن الفلسفة الطبيعية لا تستهدف غرضاً تربوياً سامياً بعيداً مناله، فهي لا ترتفع، إلى أبعد من مجرد «التعبير عن الذات» دون تدخل ودون إعتراض.

وإذا كانت التربية الطبيعية تقبل الطفل كما هو، وتقبل حاضره كما هو، وتهتمّ به كما هو كائن، لا كما يجب أن يكون إذن فلا داعي لوجود المدارس ولا لعمل المربّين، فهي لم تأت إلّا بمجموعة من السلبيات في تطرف ومبالغة في الحرّية المطلقة كما في تربية روسو ونيل وغيرهما من متطرفي الطبيعيين.

وفيما يختص بالتربية الخلقية والإجتماعية والدينية فإن روسو يرى أن فترة ما بين سنّ الخامسة عشر إلى العشرين هي فترة التربية الخلقية والإجتماعية، ولكنه يرى أن يربىّ عن طريق غير مباشر، أي لا نتّبع طريق النصح والإرشاد والتوجيه، في تعليمه الأخلاق، أما التربية الدينية فإن نادى بها بعد سن الخامسة عشر، بأن يكون الدّين طبيعّياً خالياً من الطقوس والشعائر الدينية.

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية، ص(٨٦).



الفلسفة المثالية

يقول الأستاذ جيمس. س. روس: إنّ المثالية في الفلسفة تتّخذ أشكالاً متعدّدةً، إنها إتجاه وروح، أكثر من أن تكون مذهباً محدُوداً أو نظاماً من الأحكام التقديرية، والمثالية في التربية متعددة الأشكال كالمثاليّة في الفلسفة، وإذا ركزنا بحثنا في جوهر الموضوع فإننا نجد أن المثالية ترى أن كلّ شيء عقلي أو روحي أهم بكثير من المادي، وأنّ العالم المادي أقل أهمية من عالم الخبرة، وأن الحقيقة روحية أكثر منها مادّية.

وإذا إنتقلنا إلى التربية وجدنا أن المثاليين يذهبون إلى أنّ دراسة العلوم الإنسانية أو كل ما يتصل بالإنسان نفسه، أكثر أهّمية من العلوم الطبيعيّة[1].

ويقول الأستاذ سعد عبدالسلام حبيب: والمثالية مهما إتخذت أشكالاً متعدّدةً إلاّ أنهّا تتفق جميعاً على أنّ العقل، أيّ الرّوح هُو جوهر هذا العالم، وأنّ تربية عقل الإنسان والسمّوّ بروحه لأفضل بكثير من تربية جسمه، أيْ مادته، فيقول (رسك) (RUSK) «بدل أن

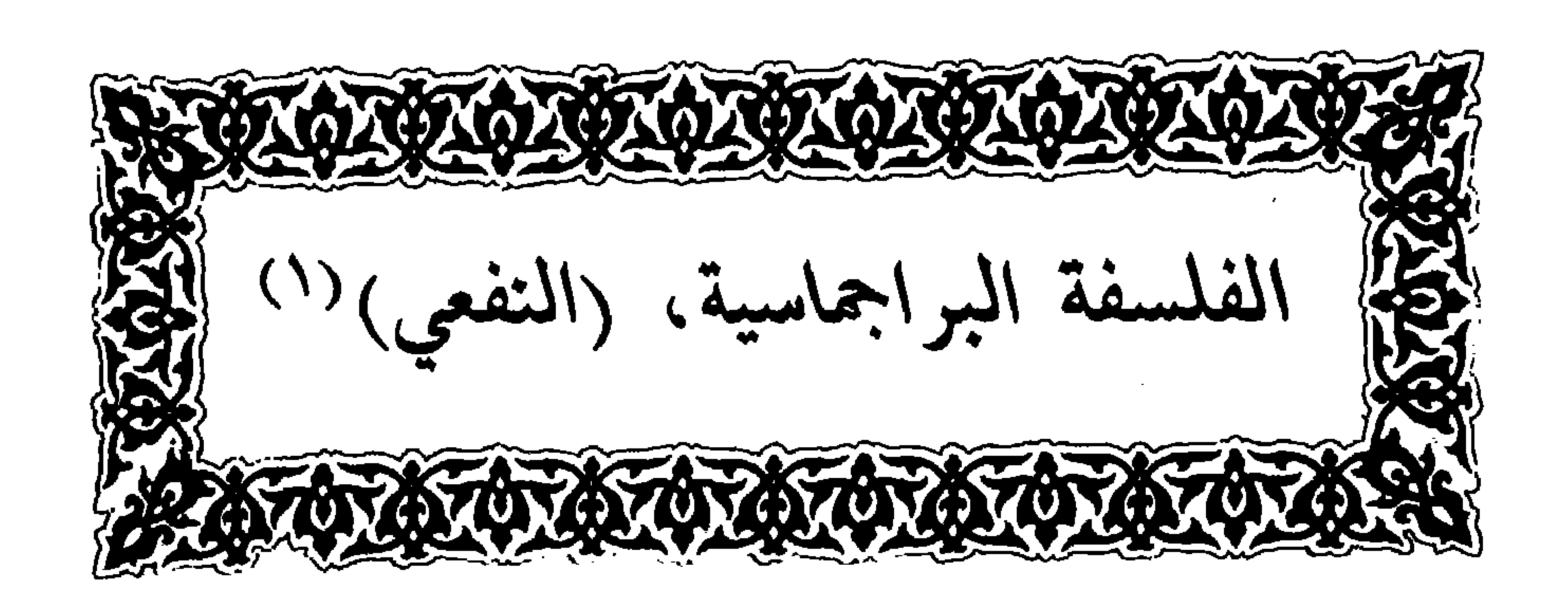
(١) الأسس العامة لنظريات التربية، ص(٩٥).

تسأل كما يسأل الطبيعيّون لماذا كان للجسم عقل، فإننا نسأل لماذا كان للعقل جسم»؟ فمحور الفلسفة المثاليّة إذن هو العقل لا المادة.

إن هذه الفلسفة المثالية إن هي إلاّ صدىً للفلسفة الأفلاطُونيّة، أو هي المظهر الفَعَّال لنظرّية المثل، حيث يقول أفلاطون بعالمين: «العالم المحسوس» ويتألف من الأجسام أو المادّيات، «والعالمالمعقول» وهو يتكوّن من الموجُودات المجرّدة التي هي مثل الأجسام[1].

وهكذا نجد أنّ هذا المذهب على النّقيض من سابقه - المذهب الطبيعي - حيث أنّ المذهب الطبيعي يهتمّ بشأن الجسد ويتنكّر للرّوح ولكلّ ما له صلة بها، بينما هذا المذهب يتعصّب لجانب الروح ويمقت الجسد وكلّ ما يرتبط به من نشاط.

(١) أسس التربية الحديثة، ص (٣٤).



الفلسفة البراجماسية، (النفعي)[1]

يقـول الأستـاذ جيمس. س. روس: إنّ المـذهب النفعي لا يستطيع أن يتقدّم بأهداف تربَويَّة، اللهم إلاّ إذا تنكّر لمبادئه، فالتربية في نظره لا تتقيّد بمعايير روحيّة يسعى لتحقيقها كما يسعى المثالي إلى هدفه، فليس للقيم والمعايير الروحيّة في رأي أصحاب هذا المذهب وجود سابق، والغرض العامّ من التربية عنده خلق المعايير الجديدة، وإثارة الطفل ومساعدته علىَ خلق معايير جديدة لنفسه.

«وقـد يتفق النفعي مع المثـالي، ويقبل أن يكـون للتـربيـة مظاهرها المتنوّعة، العقليّة والدينية والطبيعية، إلاّ أنه يقبل هـذه الأشياء على أنهّا مظاهر كبرى للنشاط نستطيع بها أن نخلق القيم والمعايير - على أن مثل هذه المظاهر المختلفة للنّشـاط، لا يتبعها الرجل العملي لذاتها، ولكنه يتبعها لأنها نافعة تسدّ حاجاته، فهو لا يُعنىَ بالعلم لذاته، ولا بالجمال لذاته ولا بالأخلاق لذاتها، بل يُعنى بها جميعاً لمنفعتها، وهو لا يعتقد في الله لذات الله، ولكنه يكتفي بالايمان به، لأنّ هذا أجلب للراحة والنفع له»[2].

---

(١) (Pragmatism): تعني «نفعي، أو عملي، أو ذرائعي».

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية، ص ١١٦-١١٧.

ويقول الأستاذ سعد عبدالسلام حبيب: إنّ الحركـة النفعيّة تختلف عن الحركة المثالية، تلك التي ترى أن المثل خالدة مستقلة عن الزّمان والمكان، توجه الجيل الجديد كما وجّهت الجيل القديم، وذلك بأن الحركة النفعيّة تؤكد فكرة العالم المتغيّر، فلا غرابة إذنْ إنْ وجدنا نزعتهم هذه تظهر في فلسفتهم التربوية[1].

وهكذا نجد أنّ المذهب يتخذ من المنفعـة الحاضـرة معياراً لأهدافه. فهو لا يهتم بماضي المعرفة ولا يستهدف لحياة مستقبلة ولا يرمي إلى صلاح أمر الآخرة ولكنه يجعل الأهميّة للحياة الحاضرة.

هذه المذاهب الثلاثة هي أشهـر المذاهب الفلسفيـة التي أثرت في أهداف التربية، ومن الملاحظ أن أنصار هذه المذاهب يختلفـون فيما بينهم فينقسمـون إلى فئآت مختلفـة في أساليب التطبيق وفي تحديد وتمييز الأهداف ومعايير القيم.

ومن حيث العموم، فإن المذهب الطبيعي لا يعدو أن يجعل من الإنسان حيواناً شهوانياً، لا يملك القوة الضابطة التي توجه سلوكه في الحياة وتجعله يسلك سلوكاً مهذباً يتميز به كإنسان له صفاته الخلقية المستقيمة وعقيدته الدينية السليمة كما أراد الله له أن يتعبّد وأراد به أن يتخلق.

أما تطبيقات هذا المذهب التربوي، فإنه في شكله المتطرف لا يرى أيّة أهمية للعلوم الإنسانية، بل يرفضها لأن مصدرها هو العقل، وهو أساساً يتجاهل العقل وينكر أهميته.

---

(١) أسس التربية الحديثة، ص ٤٠-٤١.

أما المذهب المثالي: فإنه ينكر أهمية العالم الطبيعي المادي - فهو على النقيض من المذهب الطبيعي، ويرى أصحابه أن على التربية أن تتجه بالإنسان إتجاهاً سامياً يرتفع به عن العالم المادي، كما أنه ينكر أهمية الجسم، بل إن أصحابه أخذوا يهيمون في عالم من الأحلام بعيدين عن واقع الحياة وإيجابيتِها، بل بعيدين كذلك عن واقع الإنسان نفسه كما خلقه ربّه جلّ وعلا (الذي أحسن كل شيء خلقه وبَدَا خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سوّسه ونفخ فيه من روحه)[1].

أما المذهب البراجماسي: سبق أن قلت إن هذا المذهب يستهدف الإعداد للحياة الحاضرة وإنه لا يعبأ بالحياة المستقبلة كما أنه لا يبالي بقيمة التراث الثقافي الذي خلفته الأجيال السالفة.

«فكان يهتم بالناحية العملية فقط - ويقصد من ناحية التطبيق التربوي - تدريب التلميذ على حاضرة بغض النظر عن المثل العليا التي يهدف إليها المجتمع في مستقبله، وبغض النظر عن التراث الضخم الذي وصلت إليه البشرية على مر السنين، وهذا الإعداد وإن كان يهيء الإنسان لحياته الحاضرة إلاَّ أنَّه لا يعدّه للحياة الكاملة في المستقبل»[2].

قلت: ولا غرو أن يتطرق النقص إلى هـذه المذاهب الفلسفية، في أهدافها، وفي تطبيقاتها التربوية، فهي مذاهب تستند

---

(١) سورة آلم السجده، الآيات الكريمة (٧، ٨، ٩).

(٢) أصول التربية وعلم النفس، ص(٢٠٤) محمد رفعت رمضان وزملاؤه.

في أسسها إلى نظريات وضعِيَّة تمثل آراء وأفكار بشرية، وبطبيعة الحال فإن آراء الإنسان وفلسفته غالباً ما هي إلّا نتيجة لظروف حياتية، فردية، أو اجتماعية، أو محاولات لإصلاح مجتمع وتخليصه من مشاكله وأزماته، أو سعياً وراء وسائل الملاءمة بين الإنسان وظروفه البيئيّة، أو تعبيراً عن أزمات نفسية وإجتماعية تلم بالإنسان في فترة من حياته فيلتمس لها حلولاً مناسبة.

وفي دراسة حياة أفلاطون والظروف التي ألمت ببلاده في حياته، وكذلك دراسة حياة جان جاك روسو زعيم المذهب الطبيعي، ودراسة حياة جون ديوي والظروف الإنتقالية وتغير المجتمع الغربي نتيجة لقيام الثورة الصناعية في عهده، في دراسة حياة هؤلاء الثلاثة دليل لما أسلفته، فهؤلآء الثلاثة من أشهر أعلام الفلسفة ولآرائهم أثرها الواضح في التربية الحديثة.

وقد بينت فيما سبق ما كانت تتصف به هذه المذاهب وماشاكلها من الفلسفات، من النقص والتناقض والإختلاف في أغراضها وفي طرق تطبيقاتها، كذلك، فإنها لا تتصف بالشمول ولا يتحقق فيها التكامل لما بينها من التعارض والتناقض فالمذهب المثالي والمذهب الطبيعي في تناقض وتعارض، والمذهب البراجماسي مذهب تجريبي يضع المعرفة في الدرجة الثانية بعد العمل، ومثل هذا التعارض واقع كذلك في المذاهب الأخرى.

وبخلاف هذه المذاهب في تناقضها وعدم شمولها كما أسلفت وكما تضمنته النصوص السابقة - نجد أن التربية الإسلامية، هذه التربية التي تضمنها القرآن الكريم، - الذي هو

كلام ربّ العالمين، وكذلك هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة، هذا النبي الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى) نجد أن هذه التربية شاملة في أهدافها متكاملة في تطبيقاتها صالحة لكل زمان ومكان، حافلة بما يكفل للانسانية صلاحها وفلاحها في معاشها وفي معادها.

وإذا كان في بعض تطبيقات هذه المذاهب الفلسفية جوانب تربوية يروقنا أن نستفيد منها فإنه ينبغي أن نتقبلها على حذر محترزين من كل ما ذهب إليه أصحابها من التطرف والمغالات في أسسها الفلسفيّة وبعض تطبيقاتها التربوية، ولكنا لو تبصرنا وأنعمنا النظر في مصادر التربية الإسلامية لوجدنا فيها ما يغني عن هذه المذاهب وتطبيقاتها ولَوَجَدنا أنها من الشمول بحيث تحتوي على كل ما فيه خير وهداية وصلاح وفلاح.

فإن من خير ما ذهب إليه المذهب الطبيعي مثلاً النظر إلى طبيعة الإنسان على إعتبار أنها خيرة، فقد أكّد زعيم هذا المذهب جان جاك روسو بأن الطفل خير بطبيعته، ولكنه نادى أيضاً بأنه يجب أن يطلق له العنان يتربى في أحضان الطبيعة، يعمل ما تهواه نفسه دون ضبط أو توجيه أو تقييد بعرف أو تقاليد، دينية أو خلقية، فأي خير أو رشد توجه إليه الطبيعة. وأي فساد أو انحراف تحذره منه، إذن فكيف يتم الحفاظ على طبيعته الخيرة لتبقى خيرة ويشب على فعل الخير والإبتعاد من الشر والفساد.

ورسولنا الكريم محد صلى الله عليه وسلم لم يترك خيراً إلّا دلّ أمّته عليه ولا شراً إلّا حذرها منه، ولم يهمل صلى الله عليه

وسلم شأن الطفل بل قال فيه قولاً شاملاً وضرب له مثلاً هادياً يوضح ويغني آللّبيب.

ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما من مولود إلاّ ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونون أنتم تجدعونها[1].

قال المناوي رحمه الله: الحاصل أن الإنسان مفطور على التهيء للإسلام بالقوة، لكن لابد من تعلمه بالفعل، فمن قدر الله كونه من أهل السعادة قيض الله له من يعلمه سبيل الهدى فصار مهذباً بالفعل، ومن خذله وأشقاه سبّب له من يغير فطرته ويثني عزيمته[2].

وقال غيره: قوله على الفطرة: أي على الإسلام، وقيل الخلقة، والمراد به القابلية لدين الحق إذ لو تركوا وطباعهم لما إختاروا ديناً آخر.

قلت: في هذا الحديث الشريف يبيِّن لنا النبي الكريم الذي لا ينطق عن الهوى أهمية التربية والتوجيه في حياة الطِّفل ومستقبل سلوكه، ومدى أثر نهج أبوَيْه على إتجاهه وسلامة فطرته إذا كانا مُسلمين صالحين وفسادها إذا كانا مجوسيين أو نصرانيين أو يدينان ديناً مخالفاً لعقيدة الإسلام الطاهرة المبرأة من كل فساد.

---

(١) صحيح البخاري، ج٢ ص٩٧٦.

(٢) فيض القدير، ج٥ ص٣٤.

وإذا كان أصحاب المذهب المثالي يتّجهون بعكس أصحاب المذهب الطبيعي فلا يرون أن يترك الطفل في أحضان الطبيعة مُرخى له العنان يعمل كيفما يشاء، ويرون للمربِّي أهميته فإنهم مبالغون في شكل متطرف في شأن عقل الإنسان والحطّ والتحقير من شأن جسمه، ومن هنا يختل التوازن الذي أراده الله تعالى للإنسان حين خلقه بإرادته تعالى ووفّق بين جسمه وروحه، وجعل له السّمع والبصر والفؤاد بقدرته، «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سوّسه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون[1].

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أهمية المربِّي في أحاديث ومواقف عديدة. قال صلى الله عليه وسلم: ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن، هكذا هو عند مخرّجه الترمذي. أي لا يعطي ولده أفضل من تعليمه الأدب الحسن، وهذا مما يتوجه على الآباء من بر الأولاد.[2]

وقال صلى الله عليه وسلم: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع.

يعني إذا بلغ أولادكم سبع سنين فأمروهم بالصلاة ليعتادوا أداءها ويأنسوا بها، فإذا بلغوا عشراً فاضربوهم على تركها، قال

---

(١) سورة آلم السجدة، الآيات الكريمة (٧-٩).

(٢) فيض القدير، ج٥ ص٥٠٣.

الطيبي: جمع بين الأمر بالصلاة والتفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً ومحافظةً لأوامر الله كلها، وتعليماً لهم والمعاشرة بين الخلق، وأن لا يقفوا مواقف التُّهم فيجتنبوا المحارم[1].

وفي البخاري عن عمر بن أبي سلمة قال كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي[2].

من هذه الأحاديث الشريفة تتضح لنا أهمية تربية الأطفال في صغرهم وتعهّدهم بالتوجيه إلى السّلوك الحسن وتحذيرهم من الوقوع في أسباب الفساد، ليشبّوا على الأخلاق الفاضلة ويكتسبوا العادات الحسنة منذ صغرهم وتصبح مألوفة لديهم. وقال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارة»[3].

قال القرطبي: قال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد: قُوْا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيّتكم. وقال بعض العلماء: لما قال «قوا أنفسكم» دخل فيه الأولاد، لأن الولد بعض منه، فيعلّمه الحلال والحرام ويجنّبه المعاصي والآثام، فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب[4].

---

(١) فيض القدير، ج٥ ص ٥٢١.

(٢) صحيح البخاري، ج٢ ص ٨٠٩-٨١٠.

(٣) سورة التحريم، الآية (٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص (١٩٤-١٩٦).

وقال تعالى (إما يبلغنّ عندك الكبرُ أحدُهما أو كلاهُما فلا تقلْ لهُما أف ولا تنهَرهُما، وقلْ لهما قولاً كريماً، وآخفضْ لهُما جناحَ الذّلِ من الرّحمة وقُلْ ربِّ إرْحَمْهُما كما رَبَّياني صغيراً)[1].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله، أي أدع لهما بالرحمة أحياءً وأمواتاً، جزاء على تربيتهما إيّاك صغيرا، وفهم من هذا أنه كلما إزدادت التربية إزداد الحقّ، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من ربّاه حقّ التربية[2].

وقال القرطبي رحمه الله (كما ربّياني صغيرا) خصّ التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته.

وقال الله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله: الأولاد أمانات عند الوالدين، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفّهم عن جميع المضار والمفاسد، وتعليمهم العلوم النافعة وأخذهم بالأخلاق الفاضلة، بشّر الذين يربون أولادهم تربية صالحة بالخير والثواب

---

(١) سورة الأسرى، الآيات (٢٤/٤٣).

(٢) تيسير الكريم المنان، ج٤ ص١٣٣.

والإنتفاع، وحذِّر الذين يهملونهم بالضرر العاجل والآجل والضياع[1].

قلت: مما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتأكد وجوب العناية بتربية الأولاد منذ طفولتهم الأُولى تربية جسمية وعقلية متدرجة مع مدى قابلياتهم وآستطاعتهم الجسمية والعقلية. (امروهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وآضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع).

وما تضمنته هذه التربية الإسلامية المطهرة يخالف ما دعا إليه جان جاك روسو ومن يذهب مذهبه من الفلاسفة والمربين الطبيعيين، كما أوضحنا ما كانوا يذهبون إليه في فلسفتهم وتطبيقاتهم التربوية.

أما الفلسفة البراجماسية (النفعية) ذلك المذهب الذي في نظره «لا تتقيّد التربية بمعايير روحية يسعى لتحقيقها، وليس للقيم والمعايير الروحية في رأي أصحاب هذا المذهب وجود سابق، ولكنها تنشأ في أثناء القيام بالتجارب الناجحة وتتولد في حلّ المشاكل المنوعة، والغرض العام من التربية عنده خلق المعايير الجديدة، وإثارة الطفل ومساعدته على خلق معايير جديدة لنفسه، وهم لا يعتقدون في الله لذات الله ولكنهم يكتفون بالإيمان به ويرون أن ذلك أجلب للرّاحة والنفع»[2].

قلت: وإذا صرفنا النظر عما فيه من الحاد وضربنا صفحاً

(١) الرياض الناضرة، ص ٤٨.

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية، ص ١١٧، ج. س. روس.

عن تنكره للقيم والمعايير الخلقية والإجتماعية، هذه الجوانب التي لا تتلاءم مع فطرة الإنسان السليمة، ولا تلتقي مع الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها، (وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون)[1] ولكنها تسير مع هذه الغاية على طرفي نقيض، وإذا أخذنا بعض تطبيقاته التربوية، «إن المعرفة مقدمة للعمل، وإن الفكر ثانوي بالنسبة لهذا العمل، والمعرفة ذاتها غير تامة الفائدة حتى يتوجها العمل، فهذا المذهب العملي مذهب تجريبي، يهتم بالطريقة أكثر من إهتمامه بالأهداف»[2].

من هنا نجد أنه يقدم العمل على التفكير، ويتخذ العمل أساساً للتعليم ويلتمس القيم والمعايير من نتاج التجربة، فالمنفعة إذن مادية والقيم والمعايير كذلك ستكون مادية تبعاً للمنفعة، وإذا نحن تأملنا في معالم التربية الإسلامية ونهجنا مناهجها وجدنا أنها تربية شاملة متكاملة، تربية فكرية تربية روحية تربية مادية، مشتملة على مصالح العباد الدينية ومصالحهم الدنيوية ووجدنا فيها القيم والمعايير الخالدة، التي تلائم الفطرة السليمة وطبيعة الإنسان. فهذا المذهب النفعي يلتقي مع مذهب السّفسطائيين في نقطة واحدة، هي أن القيم نسبية، الرجل فيها مقياس كل شيء، فالطفل في هذا المذهب -في سنيّ نموه- هو مقياس كل ما يتعلق بالتربية. ومن هذا المنطلق فإنه لا بدّ من وجود إختلاف وتباين في القيم والمعايير بين مجتمع وآخر، وبين مكان ومكان،

(١) سورة الذاريات، الآية، (٥٦).

(٢) أصول التربية وعلم النفس، ص(٢٠٢-٢٠٣) محمد رفعت وزملاؤه.

وبين زمان وزمان، بل بين شخص وآخر، فربما نجد أن أمراً يرى شخص أنه أمر صالح ومفيد ومرغوب فيه، بينما يرى شخص آخر أنه بالعكس من ذلك.

أما في التربية الإسلامية الزاكية فإن القيم والمعايير - الدينية والخلقية والإجتماعية - ثابتة لا تتغير ولا تتبدل صالحة لكل زمان ومكان ملائمة لكل جيل من الأجيال، فالتربية الإسلامية تربية إنسانية، ليست محصورة في فئة معينة من الناس ولا محدودة باعتبارات بشرية معينة كما هي الحال في الإتجاهات الأُخرى - القومية مثلاً أو الشيوعية - (وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين)[1]. (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)[2] قال القرطبي رحمه الله: أي وما أرسلناك إلاّ للناس كافة أي عامة، ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال الزجاج: أي وما أرسلناك إلاَّ جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ. والكافة بمعنى الجامع، وقيل: معناه كافاً للناس تكفهم عماهم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام. والهاء للمبالغة[3].

وقد أوضح القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثبوت القيم الإسلامية، وصلاحية معايير الإسلام لكل زمان ولكل للناس «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية المسلم «من عمل عملاً ليس عليه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) سورة سبا، الآية (٢٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج١٤ ص (٣٠٠).

أمرنا فهو ردّ». ومن حديث رواه البخاري ومسلم «إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن إتّقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما آستطعتم، فإنّما أهلك الّذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، رواه البخاري ومسلم.

هذه النصوص من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكّد وجوب إتباع معالم الشريعة الإسلامية والإهتداء بهديها، وثبوت هذه المعالم وقد قال صلى الله عليه وسلم: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلّا هالك».

وتكاد معايير القيم في التربية الإسلامية تندرج تحت معيار واحد شامل هو «**التّقوى**» قال الله تعالى ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خبير﴾[1].

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا أيها الناس إنَّ الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل تقي كريم على الله وفاجر شقي هيّن على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب.

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

وعنه صلى الله عليه وسلم - كان يخطب بمنى أيام التشريق - أنَّه قال «يا أيّها الناس ألا إن ربَّكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلَّا بالتَّقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغائب.

وعن مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنَّن الله عليه وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إلى الله أتقاكم»[1].

قلت: التقوى صفة سامية من إتصف بها من الناس راقب الله في أمره كله، مره وعلانيته، فظهر أثرها في سلوكه، فيما بيَّنه وبين ربه وفيما بينه وبين الناس قولاً وعملاً.

وحقيقة تقوى الله هي أن يُطاعَ فلا يُعصَى وأن يذكرَ فلا يُنْسى وأن يُشكر فلا يُكفر. والله جلّ ذكره يقول في كتابه (وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى وآتقون يا أولي الألباب)[2].

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٦ ص٣٤١-٣٤٢.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.



حقيقة التقوى

قال في النهاية: أصلها من الوقاية، وذكر الحديث: «كنّا إذا إحمّر البأس إتّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم» أي جعلناه قدّمنا. وحديث «إنما الإمام جنّة يتقى به، ويقاتل من ورائه» أي أنه يدفع به العدو ويتقى بقوته. والتاء فيها مبدلة من الواو، لأن أصلها من الوقاية، وتقديرها أوْتقي، فقلبت وأدغمت فلما كثر إستعماله توهموا أن التاء من نفس الحرف فقالوا أتّقي يتّقي بفتح التاء فيهما.

وقال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا»[1] قال الشوكاني - رحمه الله - قال مقاتل بن سليمان المعنى قوا أنفسكم وأهليكم بالأدب الصّالح النار في الآخرة، وقال قتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصّيتكم، قال بن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخبر وما لا يستغني عنه من الأدب. وعن علي بن أبي طالب أنه قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم، وعن ابن عباس: أنه قال

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

في الآية: إعملوا بطاعة الله وآتقوا معـاصي الله وآمروا أهلكم بالذكر ينجكم الله من النار[1].

قلت والآية الكريمة أمر صريح من الله لعبادة المؤمنين بأن يتخذوا من العمل الصّالح والأدب الحسن وقاية، أي سترة وحجاباً تقيهم وتحول بينهم وبين نار جهنّم.

قال في النهاية: وقا: فيه «فوقي أحدكم وجهه من النار» وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى. وفي حديث معاذ «وتوّق كرائم أموالهم» أي تجنبها.

وقال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا آتقوا الله حقّ تقاته»[2] قال الشّوكاني: أي التقوى التي تحقّ له، وهي أن لا يترك العبد شيئاً مما يلزمه فعله ولا يفعل شيئاً مما يلزمه تركه ويبذل في ذلك جهده ومستطاعه.

وعن بن مسعود: «إتقوا الله حقّ تقاته، هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. وعن بن عباس. حق تقاته، أن يجاهدوا في الله حقّ جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. وقال الله تعالى (وتعاونوا على البرّ والتقوى)[3] قال القرطبي: هو أمر لجميـع الخلق بالتعـاون على البرّ والتقـوى، أي ليُعن بعضكم بعضاً، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى وآعملوا به، وآنتهوا عما نهى

---

(١) فتح القدير، ج٥ ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٢).

الله عنه وآمتنعوا منه[1]، وقال عبدالرحمن بن سعدي: التّقوى في هذا الموضع إسم جامع لترك كلّ ما يكرهه الله ورسوله من الأعمال الظاهرة والباطنة[2].

وقال الله تعالى «فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلها»[3]. قال القرطبي «وألزمهم كلمة التقوى» قيل: لا إله إلا الله، روي مرفوعاً من حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول علي وابن عمرو بن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وغيرهم، وروي عن علي وبن عباس أيضاً: هي لا إله إلا الله والله أكبر. وكلمة التقوى هي التي يُتّقَى بها من الشرك، وعن مجاهد أيضاً، أن «كلمة التقوى» الإخلاص، كانوا أحق بها من كفار مكة لأن الله إختارهم لدينه وصحبة نبيه.

وقال عبدالرحمن بن سعدى: «وألزمهم كلمة التقوى» وهي لا إله إلّا الله، وحقوقها، ألزمهم القيام بها فالتزموها وقاموا بها[4].

وقال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى﴾[5] قال عبدالرحمن بن سعدى: التقوى محلّها القلب. والله هو المطلّع عليه المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس فلا يغنون عنكم من الله شيئاً.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٦ ص٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص١١٣.

(٣) سورة الفتح الآية (٢٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج٧ ص١٨٢.

(٥) سورة النجم، الآية (٣٢).

ومن هذه النصوص الكريمة، يتضح أن لكلمة «التقوى» مدلولاً واسعاً، لا ينحصر في جانب من جوانب العبادات ولا في فعل ما أمر به الإنسان من أعمال البر، ولكنه يشتمل على فعل كل ما أمر الله به من الأعمال الصالحة والآداب الفاضلة، وآجتناب كل ما نهى عنه من قول وعمل، وآتباع هدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في العمل، والإبتعاد عن كل ما حذّر منه أو نهى عن فعله، فالتقوى هي المعيار الذي على قدره يكون العمل زاكياً ويتميز صلاح الإنسان «أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار»[1].

قال الشوكاني: الهمزة في قوله تعالى «أفمن أسس» للإنكار التقريري، والمعنى: أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي تقوى الله ورضوانه خير ممن أسس دينه على ضد ذلك، وهو الباطل والنفاق[2].

وقال القرطبي: في هذه الآية دليل على أن كل شيء إبتدىء بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد إلى الله ويرفع إليه[3]. وقال عبد الرحمن السعدي: «على تقوى من الله» أي على نية صالحة وإخلاص، «ورضوان» بأن كان موافقاً لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة[4]، إذن فحقيقة التقوى، هي أن يكون عمل الإنسان

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٩).
(٢) فتح القدير، ج٢ ص٤٠٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٨ ص ٢٦٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص ١٤١.

خالصاً لوجه الله مبتدءاً بالنية الصّالحة وأن يكون صـواباً، أي موافقاً لأمر الله وعلى ما كان عليه هدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم.

وقال القرطبي: قوله تعـالى «للمتقين» أصل «للمتقين»[1] للموتقيين بياءين مخففتين، حذفت الكسرة من الياء الأُولى لثقلها ثم حذفت الياء لإلتقاء الساكنين وأبدلت الواو تاء على أصلهم في إجتماع الواو والتاء وأدغمت التاء في التاء فصار للمتقين، قال: والتقي هو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الآخرة، مأخوذ من إتقاء المكروه، بما تجعله حاجزاً بينك وبينه، وقال عن أبي سليمان الداراني المتّقون الذين نـزع الله من قلوبهم حبّ الشَهَوَات. وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبيًّا عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال فما عملت فيه؟ قال: تشمّرت وحذرت، قال فذاك التقوى. ونظم بن المعتز هذا المعنى فقال:

خـلّ الـذنـوب صـغـيـرهـا
وكـبـيـرهـا ذاك الـتـقـى
وآصنـع كمـاش فـوق أرض الشـوك يحـذر مـا يـرى
لا تـحـقـرن صـغـيـرةً
إن الـجـبـال مـن الـحـصـى

وقال القرطبي: التقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية

(1) سورة البقرة، الآية ٢.

الله في الأولين والآخرين، وهي خير ما يستفيده الإنسان، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه وقد قيل له إن أصحابك يقولون الشعر وأنت ما حفظ عنك شيء فقال:

يـريـد الـمـرء أن يـؤتـى مـنـاه
ويـأبـى الله إلا مـا أرادا
يـقـول المـرء فـائـدتي ومـالـي
وتقـوى الله أفضـل مـا آستفـادا

وجاء في الحديث عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسب المال والكرم التقوى، رواه الترمذي وبن ماجه.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: والتقوى هي الإحتماء عما يضرُّه بفعل ما ينفعه، فإن الإحتماء عن الضار يستلزم إستعمال النافع، وأما إستعمال النافع فقد يكون معه أيضاً إستعمالاً لضار فلا يكون صاحبه من المتقين. وأما ترك إستعمال الضار والنافع فهذا لا يكون، فإنّ العبد إذا عجز عن تناول الغذاء كان مغتذياً بما معه من المواد التي تضره حتى يهلك، ولهذا كانت العاقبة للتقوى، وللمتقين، لأنهم المحتمون عما يضرهم فعاقبتهم الإسلام والكرامة[1].

وقال أيضاً: وصّى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ: إتق الله حيثما كنت، وأتبع السّيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.

---

(١) الفتاوي، ج١٠، ص١٤٤.

وقال: إنه صلى الله عليه وسلم وصاه هذه الوصية، فعلم أنها جامعة. وهي كذلك لمن عقلها، مع أنها تفسير الوصية القرآنية[1]. أما بيان جمعها: فلأن العبد عليه حقان: حق لله عز وجل وحق لعباده، ثم الحق الذي عليه لابدّ أن يخل ببعضه أحياناً، إما بترك مأموريه أو فعل منهى عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إتّق الله حيثما كنت» وهذه كلمة جامعة، وفي قوله، «حيثما كنت» تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية.

إن إسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجاباً وإستحباباً، وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد، ولكن لما كان تارة يعني بالتقوى وخشية العذاب المقتضية للإنكفاف عن المحارم جاء مفسّراً في حديث معاذ، وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي وصحّحه: «قيل يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق، قيل وما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: الأجوفان: الفم والفرج[2].

بهذا يؤكد شيخ الإسلام رحمه الله شمول التقوى لفعل كل ما أمر الله به من الواجبات والمستحبات وترك ما نهي عنه تحريماً وتنزيهاً، وقد قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مُسلمون»[3] قال القرطبي: ذكر المفسرون أنه

---

(١) الآية الكريمة «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن إتقوا الله».

(٢) الفتاوي، ج١٠، ص ٦٥٤-٦٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، مَنْ يَقْوى على هذا وشقّ عليهم، فأنزلَ الله عز وجل «فاتقوا الله ما آستطعتم»[1]، فنسخت الآية، عن قتادة والربيع.

وقيل: إن قوله «فاتقوا الله ما آستطعتم» تبيان لهذه الآية، والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما آستطعتم، وهذا أصوب، وقد روي علي بن أبي طلحة عن بن عباس قال: قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله حقّ تقاته» لم تنسخ، ولكن (حق تقاته) أن يجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، ولا تأخذكم في الله لومة لائم. قلت: وبهذا يمكن الجمع بين الآيتين الكريمتين. وقيل في تفسير الآية الكريمة «فاتقوا الله ما آستطعتم» فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جُعل فتنة لكم من أموالكم وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، فتتركوا الهجرة وأنتم للهجرة مستطيعون[2].

وحيث أن التقوى ذات أهمية كبيرة في سلوك الإنسان، في إستقامته الدّينية وشمائله الخلقية ومعاملته مع ربه تعالى ومع العباد، وحيث أن أمر السلوك - بكل ما تعبر عنه كلمة السلوك - هو ما ترمي إليه التربية، فانني سأورد بعض النصوص الواردة في شأن التقوى من كتاب الله تعالى ومن سنه رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يفيد الأمر بالتقوى والحث عليها والترغيب فيها، وما

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص١٤٤.

يفيد بيان ثواب المتقين وحسن عاقبتهم، والآخرة خير لمن إتقى، «إن الله مع الذين إتقوا والذين هم محسنون».

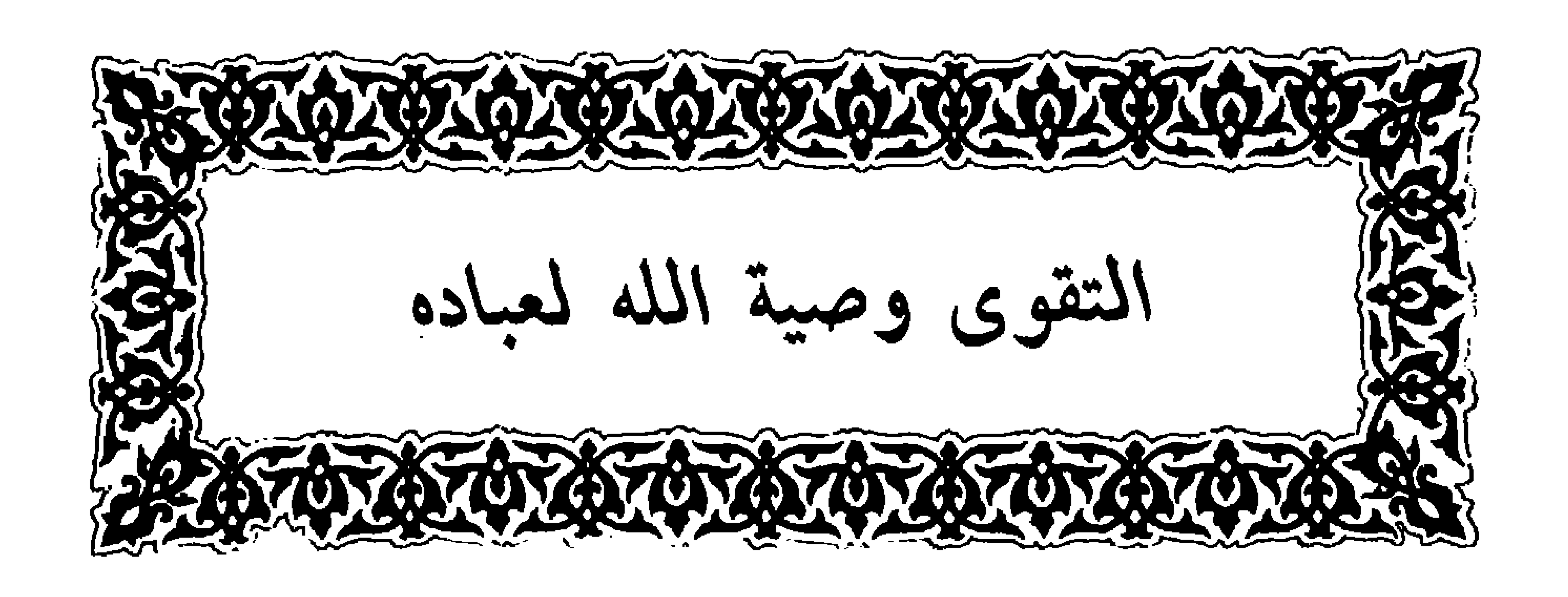
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول لله صلى الله عليه وسلم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحَسْب إمرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، رواه مسلم.

قال في المرقاة: (التقوى ههنا) يعني لا يجوز تحقير المتقي من الشرك والمعاصي، والتقوى محلها القلب، وما كان محله القلب يكون مخفياً عن أعين الناس وإذا كان مخفياً فلا يجوز لأحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره، ويحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقر مسلماً لأن المتقي لا يحقر المسلم، وقال: إنّ مستقر التقوى ومكانها المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما قال تعالى (أولئك الذين إمتحن الله قلوبهم للتقوى) ولذلك كرر صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة وأشار إلى صدره ثلاثاً[1].

وقال النووي: أي إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته.

---

(١) مرقاة المفاتيح، ج٤ ص٦٨٣.



التقوى وصية الله لعباده

نوّه ربنا سبحانه وتعالى بذكر التقوى والمتقين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وجاء في سياق الآيات الكريمة بصيغ مختلفة وأساليب متعددة فتارة يأتي ذكرها بصيغة الأمر المسبوق بالنداء، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى ﴿يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[1]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[2]، وتارة تذكر بصيغة الإستفهام في سياق الجدل.

كقوله تعالى ﴿قل من رب السموات السبع وربّ العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾[3]. وقوله تعالى ﴿كذبْت قومُ نوحٍ المرسلين وإذْ قال لهم أخوهم نواحُ ألا تَتّقون إني لَكم رَسُولٌ أمينٌ فآاتقْوا الّله وأطيعُونِ ومَا أسألكُم علَيْهِ منْ أجْرٍ إنْ أجرِي إلاّ علَى رَبِّ الْعالَمِينَ فآتّقوْا اللّهَ وأطيعُون﴾[4]. وتارة تتضمن الوعد

(١) سورة النساء، الآية ٢١١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٨٧.

(٤) سورة الشعراء، الآية ١٠٥-١١٠.

من الله تعالى والثواب للمتقين، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾[1] وقوله تعالى ﴿ثم ننجي الذين إتقوا﴾[2].

وقد تُذكَر في سياق البيان والتفصيل في الجزاء والثواب كقوله تعالى ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا وآتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾[3] وقوله ﴿فأما من أعطى وآتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾[4].

وسأذكر فيما يأتي بعض الآيات الكريمة التي تتضمن الوصية بالتقوى والترغيب فيها وبيان ثواب المتقين ومالهم عندالله من الجزاء على إختلاف صيغها وتنوع أساليبها، والأوامر والنواهي التي ترافق ذكرها وتتصل في سياقها، حَسْبما يتطلبه المقام ومقتضى الحال.

قال الله تعالى ﴿ولَقَدْ وَصَّينا الذّين أُوتُوا الكتابَ منْ قبلِكُم وإيّاكُم أنْ إتّقُوا اللّهَ﴾[5]. قال القرطبي: أي الأمر بالتقوى كان عاماً جميع الأمم. وقال بعض العارفين: هذه الآية هي رَحَى آي القرآن لأن جميعه يَدورُ عليها.

وقال تعالى: ﴿يا أيّها الناسُ إتّقْوا ربَّكم الذي خَلَقكُم من

---

(١) سورة القلم، الآية ٣٤.
(٢) سورة مريم، الآية ٧٢.
(٣) سورة المائدة، الآية ٦٥.
(٤) سورة الليل، الآية ٣.
(٥) سورة النساء، الآية ١٣١.

نَفْس وَاحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وبَثَّ منهُما رِجَالاً كثيراً ونِسَاءً وآتقَوْا اللّهَ الّذِي تَسأَلُوْنَ بِهِ والأَرْحامَ إنّ اللّهَ كانَ عَليكُمْ رَقيباً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إتّقُوا رَبّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ اعْبِدُوْا ربّكم الّذي خَلَقكُمْ والّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها النّاسُ إنَّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنْثَىَ وَجَعَلْناكم شُعُوْباً وقَبَائلَ لِتعَارَفُوْا إنّ أكْرمَكُم عندَ اللّهِ أتقاكُم إنّ اللّهَ عليمٌ خَبِيْرٌ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ إتّقُوا ربّكُم وآخْشَوا يَوْماً لَا يجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾[5].

في هذه الآيات الكريمة يخاطب الله الناس عامة ويدعوهم إلى تقواه، ويذكرّهم أمر خلقه لهم وفضل ربوبيته تعالى، فهو الذي خلقهم وربّاهم بنعمه الظاهرة والباطنة، ويذكرهم أيضاً أمر الساعة وأهوالها، وشأن الموقف بين يديه يوم القيامة، يوم لا ينفع

(١) سورة النساء، الآية ١.
(٢) سورة الحج، الآية ١.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢١.
(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(٥) سورة لقمان، الآية ٣٣.

مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأخبر تعالى أنّ أكرم خَلقه عنده هم أتقاهم له.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عقبة بن عامر «أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم دم طفّ الصّاع بالصّاع لم تملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى كفى بالرجل أن يكون بذياً فاحشاً بخيلاً» رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان[1].

وقال صلى الله عليه وسلّم في حديث سمرة: «الحسب المال والكرم التقوى» رواه الترمذي، وابن ماجه[2].

وقد خاطب الله عباده المؤمنين في كثير من الآيات خطاباً خاصاً بهم ودعاهم إلى تقواه دعوة مقصورة عليهم، وذكر التقوى في سياق الآيات مقرونة بذكر الأوامر والنّواهي المختلفة والترهيب والترغيب والعبادات ومقاصد التّقوى، قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذِّين آمنُوا إتّقُوْا اللّهَ وذَرُوْا مَا بَقِي مِنَ الرِّبَا إن كنْتُمْ مُؤمِنينْ﴾[3] وقال تَعالى: ﴿يَا أيُّها الّذين آمنُوْا إتّقوْا اللّه حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتِنّ إلاّ وأنتم مُسْلِمُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَا أيُّهَا الذِّين آمَنُوْا لا تأكلُوا الرِّبَا أضْعَافاً مُضَاعفَةً واتّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُم تُفْلحُونَ﴾[5]. وقال تعالى:

---

(١) مشكاة المصابيح، ص٣١٨.
(٢) مشكاة المصابيح، ص٤١٨.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا كونُوْا قَوّامينَ للّهِ شُهَدَاءَ بالقِسْطِ وَلاَ يَجْرِ منكُم شَنَآقُ قَوْمٍ عَلَى ألاَّ تعْدِلُوْا إعْدلوْا هُو أقْرَبُ للتّقوى واتَقُوا الله إنَّ اللهَ خَبيرٌ بما تعمَلُون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا اذْكِرُوا نِعمةَ اللّهِ عليكُمْ إذْ همَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسطُوْا إليكُم أيْدِيَهم، فكفّ أيْدِيَهُمْ عنكم وآتّقوا اللّهَ وعَلَى اللّهِ فَلْيَتوكَلِ المؤمِنُوْن﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يَا أيّها الذّين آمَنُوا إتّقُوا اللّهْ وابْتَغُوا إليْهِ الوَسِيْلَةَ وجَاهدُوا في سَبِيلِهِ لَعلكُم تُفْلِحون﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَا أيّهـا الّذين آمنُـوا لَا تتخّذوْا الذّين إتّخذَوا دِينَكُم هُزْواً ولعْباً منَ الذِّينَ أوتُوا الكِتَابَ من قَبلِكُم والكفّارَ أولياءَ وآتّقوا اللّهَ إنْ كنتُم مُؤمِنِيْنْ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿يَا أيّها الذِّينَ آمنُوْا اتقوْا اللّهَ وكونُوا مَعَ الصّادِقينْ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿يَا أيُّها الّذِينَ آمَنُوْا اتّقوْاالله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾[6]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذين آمنُوا اتّقوْا اللّه وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتكم كِفْلينِ منُ رَحْمَتِهِ ويَجْعَلْ لكُم نوراً تَمشُونَ بهِ وَيغْفِر لكم﴾[7].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمنُوا لَا تَقدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ اللّهِ وَرَسُولِهِ واتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ سَميعٌ عَليمٌ﴾[8]. وقال تعالى: ﴿يَا أيّها

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٥) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٦) سورة االأحزاب، الآية ٧٠-٧١.

(٧) سورة الحديد، الآية ٢٨.

(٨) سورة الحجرات، الآية ١٠.

الذين آمنُوا إذا تَنَاجَيْتُم فَلاَ تتنَاجَوْا بالإِثْمِ والْعُدْوانِ ومَعْصِيَة الرَّسُولِ وتَنَاجَوْا بالبرِّ والتَّقْوَى، واتّقوْا اللّهَ الذِّي إلَيْهِ تُحشَرون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أيّها الّذين آمنُوْا إتّقُوا اللّهَ ولْتَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدّمتْ لِغَدٍ وَاتّقوْا اللّهَ إنَّ اللّهَ خَبِيْرٌ بمَا تَعْلَمُون﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يَا أيُّها الّذِينَ آمِنُوا قَاتِلوا الّذِينَ يَلُونكُمْ مِنَ الكفّارِ ولْيجِدُوْا فيكُم غِلْظةً واعْلَمُوْا أنّ اللّهَ مَعَ المتّقِين﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَا أيُّهَا الّذين آمنُوْا كُوْنُوا قَوّامِيْنَ للّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ ولاَ يَجْرِ مِنكم شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى ألاّ تَعْدِلَوْا إعْدِلُوْا هُو أقْرَبُ لِلتّقْوَى واتّقُوا اللَّهَ إنّ اللّه خَبِيْرٌ بِمَا تَعْلمُون﴾[4]. وقال تعالى: ﴿يَا أيُّهَا الذّينَ آمِنُوْا إنْ تَتّقُوْا الّلَهَ يَجْعَلْ لكُم فُرْقَاناً وَيُكفرّ عنكُم سَيّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لكُم﴾[5].

قال القرطبي: قال علقمة ومجاهد: كلّ آية أوّلُها «يَا أيّها النّاسُ»، فإنّها نَزَلت بمكة، وكلّ آية أوّلُها «يَا أيُّها الذّين آمنوا» فإنّها نَزَلت بالمدينة، قلت: وهذا يردّهُ أن سورة البقرة وسُورة النساء مدنيتان وفيهما يا أيُّها النّاسُ، أمّا قولهُما في «يا أيُّها الّذين آمَنُوا» فصحيح، وقال عروة بن الزبير: ما كان من حَدٍّ أو فريضة فإنّه نزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنّه نزل بمكة، وهذا واضح[6].

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٩.
(٢) سورة الحشر، الآية ١٨.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٣.
(٤) سورة المائدة، الآية ٨.
(٥) سورة الانفال، الآية ٢٩.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص ٢٢٥.

وقد ورد ذكر التقوى والمتقين في آيات كثيرة غير مبدوءة بيا أيها الناس أو يا أيها الذين آمنوا منها ما يتضمن الأمر بالتقوى، ومنها ما يبين مقام المتقين عند الله ومنها ما يبين ثواب المتقين إلى غير ذلك من المقاصد التي إشتمل عليها القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تَشْتَرْوا بِآياتي ثَمناً قَلِيْلاً وإيّايَ فاتّقُون﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ولكنَّ البِرّ مَنْ إتّقى وأتُوْا البُيوتَ أبْوَابِها واتّقُوا اَللّهَ لَعَلّكم تُفْلِحُون﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَركُم اللّهُ ببَدْرٍ وَأنْتُم أذِلّةٌ فاتّقُوا اللّهَ لَعلّكُم تَشْكِرُون﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوْا عَلى البِرِّ والتّقْوى وَلَا تعاوَنُوْا علَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ واتّقُوا اللّهَ إنَّ اللّه شَدِيْدُ العِقَابِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وكلُوْا مِمّا رَزَقَكُمْ اللّهُ حَلَالاً طَيّباً واتّقوا اللّهَ الذي أنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[5]، وقوله تعالى ﴿واتّقُوا اللّهَ واسْمَعُوا واللّهُ لاَ يَهْدي الْقَومَ الْفَاسِقِينَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيْمُوْا الصَّلاةَ واتّقُوهُ وهْوَ الذّي إلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وهَذا كِتَابٌ أنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فاتّبِعُوهُ واتّقُو لَعَلكّم تُرْحَمُون﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿مُنْيبِيْنَ إلَيْهِ واتّقوهُ وأقِيْموا الصَّلاةَ وَلَا تكُونُوا مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢.

(٥) سورة المائدة، الآية ٨٨.

(٦) سورة المائدة، الآية ١٠٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية ٧٢.

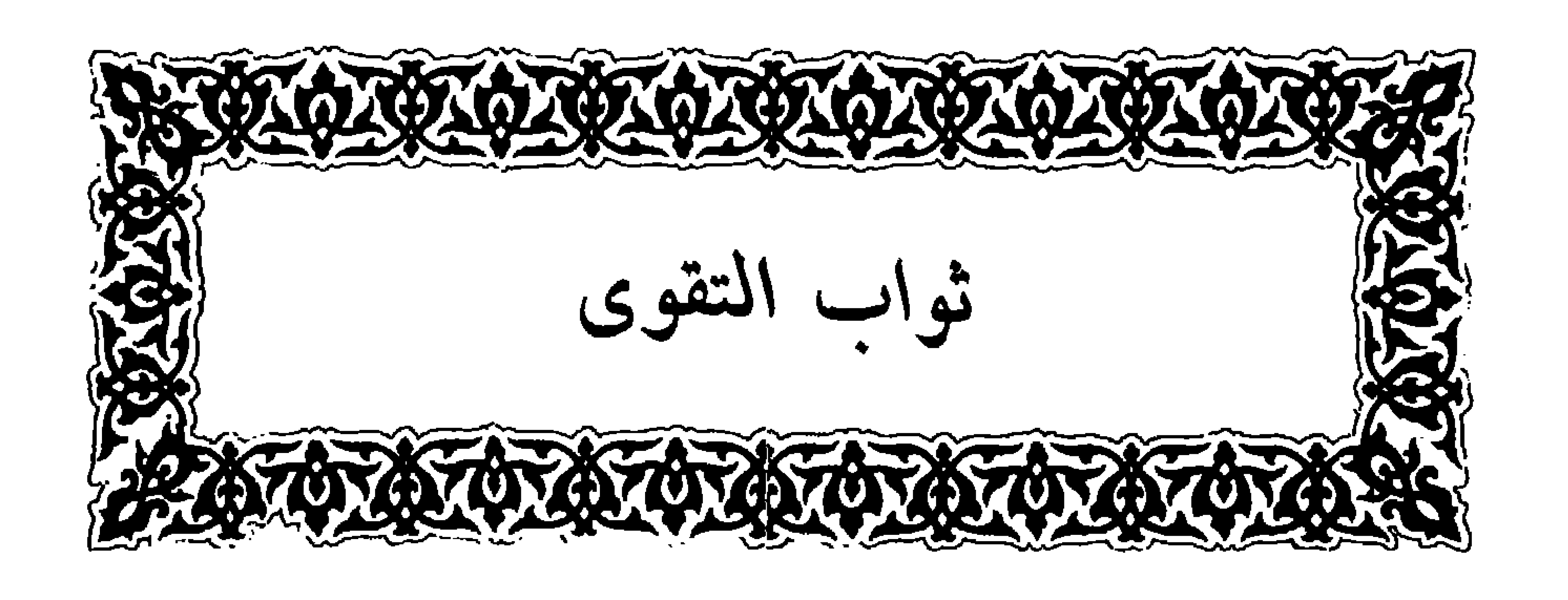
(٨) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

المُشرِكينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الّذِي يُخَوِّفُ اللّهُ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتّقُون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَما آتاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذوْهُ ومَا نَهَاكُم عَنْه فَانتَهُوا واتّقُوا اللّهَ إنَّ اللّه شَدِيْدُ العِقَابِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فأصْلِحُوا بَيْن أَخَويكُمْ واتّقـوا الَّله لَعَلّكم تُرْحَمُونَ﴾[4].

هذه الآيات الكريمة وغيرها كثير في كتاب الله تشتمل على الأمر بالتقوى والتّرغيب فيها، والأمر بالتقوى في مضمونه نهي عما ينافيها أو يختلف مع أهدافها، وقد إشتمـل بعض هذه الآيـات الكريمة على النهي عن ما ينافي التقوى ويتعارض مـع حقيقتها بعبارة صريحة، كقوله تعالى ﴿والّلهُ لاَ يَهدِي القومَ الفـاسِقِين﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تكُونُوا مِنَ المُشرِكين﴾، فالنهي في هذه الآيات عن الشرك والفسوق جاء بعد ذكر التقوى. والله يقول: ﴿فلا تزكُّوْا أنفُسَكُم هُوَ أعْلَمُ بِمَنِ إتّقَى﴾.

---

(١) سورة الروم، الآية ٣١.
(٢) سورة الزمر، الآية ١٦.
(٣) سورة الحشر، الآية
(٤) سورة الحجرات، الآية ١٠.



ثواب التقوى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يتَّقِ الَّلهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزِقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] قال القرطبي عن بن عباس: يجعل لـه مخرجاً، ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. وقال الكلبي: (ومن يتّق اللَّه) بالصبر عند المصيبة «يَجْعَلْ لهُ مَخْرجاً» من النار إلى الجنة.

وقال الحسن: مخرجاً مما نهى الله عنه. وقال أبو العالية مخرجاً من كل شدة، وقال الحسين ابن الفضل «وَمَنْ يَتّقِ الّلَه في أداء الفرائض، يَجْعَل لَهُ مخرجاً، من العقوبة «وَيرْزقه» الثواب. وقال عمر بن عثمان الصدفي «وَمَن يتّقِ الّلَه» فيقف عند حدوده ويتجنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة «وَيَرْزِقْهُ من حَيثُ لَا يَحْتَسِبْ» من حيث لا يرجو. وقال بن عيينة: هو البركة في الرزق.

وقـال الله تعـالى: ﴿وَمنْ يَتّقِ الّلَه يَجْعَـلْ لَـهُ مِنْ أَمْــرِهِ

---

(١) سورة الطلاق، الآية ٢-٣.

يُسْراً﴾[1]. قال القرطبي: قال مقاتل: ومن يتق الله في إجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة. وقال الله تعالى ﴿ومَن يَتّقِ اللّه يُكَفِّرْ عنْهُ سَيِّئَاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أجْراً﴾[2] قال الشوكاني: (ومن يَتّقِ اللّه) أي يترك ما لا يرضاه (يكفِّر عنه سَيِّئَاتِهِ) التي إقترفها، لأن التقوى من أسباب المغفرة للذنوب، (ويُعْظِم له أجْراً) أي يعطه من الأجرِ في الآخرة أجراً عظيماً وهو الجنة[3].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَ الّذِين اتّقَوْا رَبّهُم لَهُم جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهَارَ خَالِدِيْنَ فيها نُزُولاً مِنْ عِنْدِ اللّهِ ومَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِلأبْرارِ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ويُنَجّي اللّه الّذِينَ إتّقَوْا بِمَغَازَتِهِم لاَ يَمسّهُمْ السُّوْءُ ولاَ هُمْ يَحزَنُون﴾[5]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الجنَةِ الّتِي وُعِدَ المتّقُونَ فيها أنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُه وأنْهَارٌ من خَمْرٍ لذّةٍ لِلشّارِبِينَ وَأنْهارٌ من عَسَلٍ مُصَفّىً ولَهُم فيْها مِنْ كُلِّ الثّمراتِ ومَغْفِرَةٌ من رَبِّهمْ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿إنّ لِلمُتقِينَ عِندَ رَبِّهم جَنّاتِ النّعِيم﴾[7]، وقال تعالى: ﴿إنّ المُتّقِينَ في ظِلاَلٍ وعُيُونٍ وَفَواكِهَ مِمّا يَشْتَهونَ﴾[8]، وقال تعالى:

---

(١) سورة الطلاق، الآية ٤.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٥.

(٣) فتح القدير، ج ٥ ص ٢٤٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٩٨.

(٥) سورة الزمر، الآية ٦١.

(٦) سورة محمد، الآية ١٥.

(٧) سورة القلم، الآية ٢٤.

(٨) سورة المرسلات، الآية ٤١-٤٢.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وأعناباً وكَواعِبَ أَتْراباً وكَأساً دِهَاقاً لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً وَلَا كِذّاباً﴾[1].

ومثل هذه الآيات في القرآن كثيرةٌ جداً، والمقصود من ذكر هذه الآيات الكريمة هو بيان ما للتقوى من الأهمية في إستقامة الإنسان في سلوكه ومدى شمولها لأعمال الإنسان الدينية والدنيوية، في عباداته ومعاملاته، في أفعاله وأقواله، بل في أمره كله، (والَّله يُحِبُّ المتَّقِين).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسنُ الخلق، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج، رواه الترمذي وبن ماجه[2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه زين لأمرك كله[3].

قال في الحاشية: أي زين لأمور دينك الإعتقادي والقولي والعملي، بل ولأمور دنياك التي هي معاشك المقتضية لحسن معادك كله لأن التقوى بجميع مراتبها من ترك الشرك الجلي والخفي وآجتناب الكبائر والصغائر والاحتراز عن الشبهات، والتورع في المباحات والتنزه عن الشهوات والتخلي عن خطور

(١) سورة النبا، الآية ٣١-٣٤.
(٢) المشكاة، ص٤١٢.
(٣) المشكاة، ص٤١٤.

ما سوى الله بالبال من شيم أرباب الكمال في جميع الأحوال ١٢٠ مرقاة[1].

وعن أبي سعيد رفعه قال: إذا أصبح بن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول إتق الله فينا فأنا نحن بك فإن إستقمت إستقمنا، وإن إعوججت إعوججنا. رواه الترمذي. وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم - قالوا ليس عن هذا نسألك - قال فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي بن نبي الله ابن خليل الله - قالوا ليس عن هذا نسألك قال: «فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم - قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهره الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبّية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب» رواه الترمذي وأبو داود. وعن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسب المال والكرم التقوى» رواه الترمذي وبن ماجة.

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنسابكم هذه ليست بمسبّة على أحد كلكم بنو آدم طفّ

(١) حاشية المشكاة، ص٤١٥.

الصَّاع بالصَّاع لم تملاه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى كفى بالرجل أن يكون بذياً فاحشاً بخيلاً» رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان. وعن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «لا تصاحب إلّا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه الترمذي وأبو داود والدارمي.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في السخط والرضا، والقصد في الغنى والفقر» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

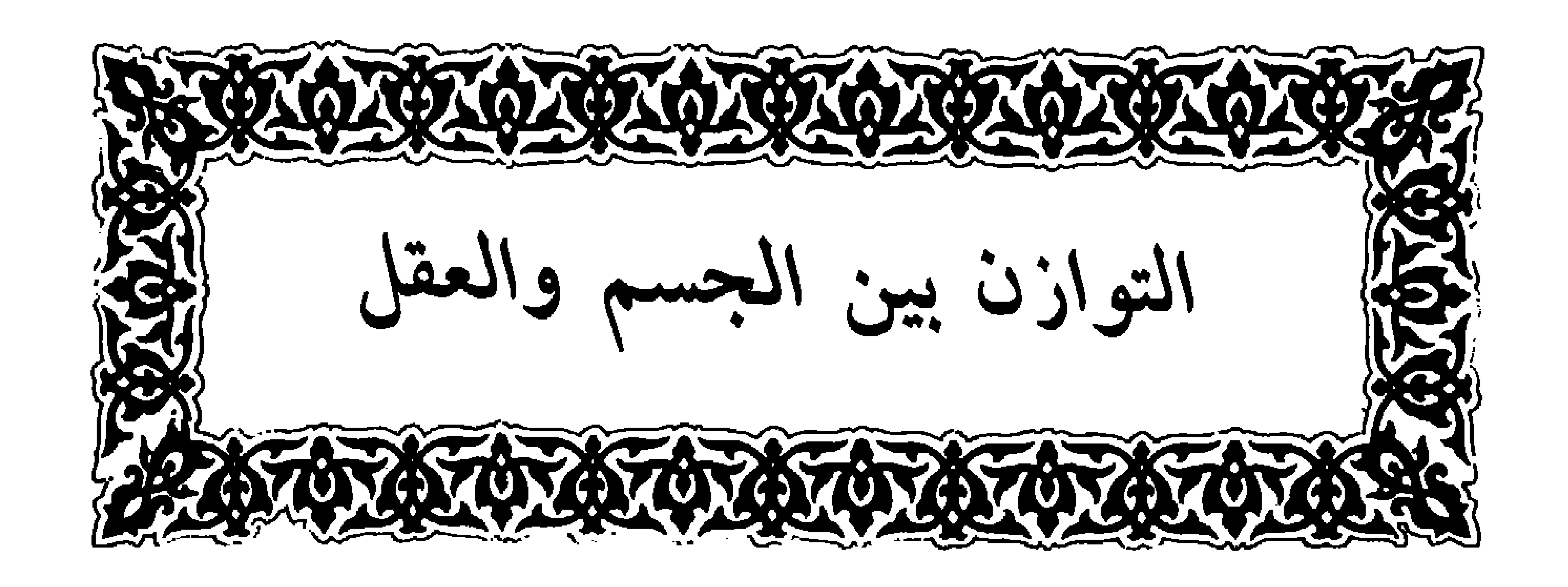
وفي حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الترمذي قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلّا ذكره حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وكان فيما قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مُستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء». وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إنك لستَ بخير من أحمر ولا أسود إلّا أن تفضله بتقوى». رواه أحمد.

وعن عبدالله بن عمر قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل؟ قال: «كلّ مخموم القلب صدوق الّلسان - قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو النقي التقي لا إثم عليه ولا بغي ولا غل ولا حسد» رواه بن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان. وفي حديث معاذ بن جبل الذي رواه أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم» إن أولى الناس بي المتقون

من كانوا وحيث كانوا». وعن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحبّ العبد التقي الغني الخفي» رواه مسلم. وفي حديث رواه أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد خاض أصحابه في ذكر الغني - «لا بأس بالغني لمن إتقى الله عز وجل، والصحة لمن إتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم». وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم (وَمَنْ يَتّقِ الّلَه يَجْعَلْ لَهُ مَخْرجاً ويُرْزِقْه مِنْ حَيثُ لاَ يَحْتَسِبُ) رواه أحمد بن ماجه والدارمي.

قلت: ومن تدبر هذه الأحاديث - ومثلها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثير - تبين له مدى ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم في التقوى وحثه على التمسك بها في كل الأحوال، في أعمال الإنسان الظاهرة والباطنة، وقد بين الله في كتابه العزيز وأوضح رسوله صلى الله عليه وسلم أن أكرم الناس عند الله أتقاهم وأن الله سبحانه ولي المتقين، وأنهم أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، من كانوا وحيث كانوا.

وما دمنا ندرك أهمية التقوى في سلوك الفرد ومالها من آثار صالحة وعواقب حميدة وأنها ترتفع بالإنسان إلى مستوى الفضيلة والكرامة في معاشه ومعاده فإنه من واجبنا أن نسعى إلى الوصول إلى هذه الغاية السامية في أخلاقنا وفي عباداتنا ومعاملاتنا وأن نربّي عليها من هم في عهدتنا وتحت رعايتنا من الأهل والولد ومن يعهد إلينا بتربيتهم من الطلبة في مدارسنا ومؤسّساتنا العلمية والتربوية ليتحقق للجميع خير الدنيا وكرامة الآخرة.



التوازن بين الجسم والعقل

سبقت الإشارة إلى الفلسفتين، المثاليّة والطّبيعيّة اللّتين يَرى أَصحابُ أحدهما أهميّة الروح ويرى أن الروح هو جوهر هذا العالم، وأن التربية يجب أن تهتم بالعقل وتربيته وأصحاب هذا المذهب يمقتون الجسم وكل ما يتصل به من أمر الحياة، بينما الآخرون عكس ذلك، ونجد أن «رسك» أحد رواد المذهب المثالي يقول: بدل أن نسأل كما يسأل الطبيعيون لماذا كان للجسم عقل؟ فاننا نسأل لماذا كان للعقل جسم؟

كما سبقت الإشارة إلى الثُّنائية التي نادى بها «ديكارت» وأتباعه، ويرى أصحابها أن الإنسان مؤلف من عنصرين جسم وروح، وهذان العنصران منفصلان ولكل منهما خصائصه التي تميزه عن صاحبه، وقد أدى ذلك إلى شيوع الفكرة الثنائية فكرة إنفصال الجسم والروح.

ولا يخفى ما في هذه الفلسفات من التطرف والمغالات والبعد عن طبيعة الإنسان التي أودع الله فيه والوفاق الذي خلقه عليه بين عقله وجسمه، وتكامل شخصيته لبعضها من الجسم

والعقل. وسأبين فيما يأتي ما إشتملت عليه التربية الإسلامية من تأكيد أهمية الجانبين الجسمي والعقلي وإعطائها لكل منهما نصيباً من الأهمية والعناية التربوية، وسنرى أن شخصية الإنسان تتصف بالإنسجام الكامل جمسه وروحه، وأن كلاً من الجسم والروح مكمل للآخر لا تتم خلقته ولا تتكامل شخصيته إلاَّ بهما معاً في وئام وانسجام وتوازن في التربية والنمو وإيفاء كل منهما ما يلزم له من التغذية وأسباب النمو والحياة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خلقنا الإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ﴾[1] قال القرطبي: وهو إعتداله وآستواء شبابه، كذا قال عامة المفسرين، وقال أبو بكر بن طاهر: مُزيّناً بالعقل مؤدياً للأمر مهدياً بالتمييز مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وقال بن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً، قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً[2]، وقال تعالى: ﴿إنّ الَّله إصْطَفاهُ عَليْكُم وزَادَهُ بَسْطةً في الْعِلْمِ وَالجِسْمِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وإذْ قَالَ ربُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إنّي خَالقٌ بَشَراً من صَلْصالٍ منْ حَمَأٍ مَسْنُون، فَإذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيْهِ مِن رُوْحِي فَقَعُوا لهُ سَاجِدين﴾[4]، قال القرطبي: قوله تعالى (من صَلْصالٍ) من طين (فإذا سَوّيتُه) أي سَّويتُ خلقه وصورته (ونَفَخْتُ فيْهِ مِنْ

(١) سورة التين، الآية ٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠ ص ١١٤.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.
(٤) سورة الحجر، الآية ٢٨-٢٩.

رُوْحِي) أجرى الله سبحانه العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقة أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، كقوله تعالى: ﴿أرضي، وسمائي، وناقة الله﴾، وقال تعالى: ﴿الذِي أحْسَنَ كلّ شيءٍ خَلَقَهُ وبَدَأ خَلْقَ الإنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ منْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثمّ سَوَّاهُ وَنفخَ فيْهِ منْ رُوْحِهِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿الذِّي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدلكَ في أيِّ صُوْرةٍ مَا شاءَ ركّبَكَ﴾[2]. قال القرطبي رحمه الله، قوله تعالى (خَلَقَك) أي قدر خلقك من نطفة (فَسوَّاكَ) في بطن أمك، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك (فَعَدَلَكَ) أيْ جَعَلكَ معتدلاً سويّ الخلق، وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: (فعدَلَكَ) وركبك تركيباً قويماً معتدلاً في أحسن الأشكال وأجمل الهيئآت.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسَانَ في أحْسَنِ تَقْويمٍ﴾[3] قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: أي تام الخلق متناسب الأعضاء منتصب القامة لم يفقد شيئاً مما يحتاج إليه باطناً وظاهراً. وقال القرطبي (في أحْسَنِ تَقْويمٍ) وهو إعتداله وآستواء شبابه، كذا قال عامة المفسرين، وهو أحسن ما يكون لأنه خلق كل شيء منكباً على وجهه وخلقه هو مستوياً وله لسان ذلق ويد وأصابع يقبض بها.

(١) سورة السجدة، الآية ٧-٩.
(٢) سورة الانفطار، الآية ٧-٨.
(٣) سورة التين، الآية ٤.

وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنَا الإنْسانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرار مَكينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلقنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقنا المُضْغَةَ عِظاماً فكسونا الْعِظَامَ لحماً ثمّ أنشأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتبَارَكَ اللّه أحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[1] قال القرطبي: (ثمّ أنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ) قال بن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وبن زيد: هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جمادا - وقال تعالى: ﴿اللّهُ الذِّي جَعَل لكُم الأرْضَ قراراً والسّمَاءَ بِناءً وصَوَّرَكُمْ فأَحْسَنَ صوَرَكُمْ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيبَاتِ﴾[2] قال القرطبي: أي خلقكم في أحسن صورة، وقال تعالى: ﴿ولقَدْ خَلقناكم ثمّ صَوّرْناكم ثُمّ قُلْنا لِلمَلاَئِكةِ إسْجدُوْا لِآدَمَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿أيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُترْكَ سُدَى ألَمْ يَكُ نطفَةً مِنْ مَني يُمْنىً ثمّ كانَ عَلَقَةً فخلقَ فَسَوّى﴾[4]. قال القرطبي رحمه الله قوله (فخلق) أي فقدر (فسوّى) أي فسوّاه تسوية وعدله تعديلاً بجعل الروح فيه، وقال بن كثير رحمه الله (ثم كانَ عَلَقة فخلَقَ فسوّى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سوياً سليم الأعضاء.

وقال تعالى: ﴿أكَفَرْتَ بالّذِي خَلَقكَ مِنْ ترابٍ ثمّ مِن نُطْفَةٍ ثُمّ سَوَاكَ رَجُلاً﴾[5]. هذه الآيات الكريمة ومثلها في القرآن كثير تبين مدى الإنسجام التام بين جسم الانسان وروحه وامتزاجهما معاً

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٢-١٤.
(٢) سورة غافر، الآية ٦٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١١.
(٤) سورة القيامة، الآية ٣٦-٣٨.
(٥) سورة الكهف، الآية ٣٧.

في كيان واحد متكامل بما أودع الله فيه من الخصائص وما منحه من المميزات التي إمتن الله عليه بها من بين سائر المخلوقات «صوركم فأحسن صوركم» «لقد خَلَقْنا الإنْسَانَ في أحْسَنِ تَقْوِيمٍ »، «وجَعَلَ لكُم السَّمْعَ والأبْصَارَ والأفئِدَةَ»، الرحمَّنُ عَلّم القُرآنَ، خَلَقَ الإنسَانَ، عَلَّمه البَيَانَ». قال بن كثير رحمه الله (عَلّمه البَيانَ) قال الحسن: يعني النطق، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر، وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه القرآن وهو أداءُ تلاوته. وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وخروج الحُرف من مواضعها.

وكثيراً ما يذكر الله عباده - في آيات من كتابه العزيز- بنعمه عليهم وما إمتن به عليهم من كرمه وشملهم به من نعمه الظاهرة والباطنة، فهو سبحانه وتعالى الذي خلقهم وأوجدهم ويسير لهم سبل العيش وهيأ لهم طرق الخير والسعادة «هَل أَتَى على الإنْسَانَ حِيْنٌ مِن الدَّهْرِ لَمْ يكُنْ شيئاً مذكُوراً إنّا خَلقنَا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشَاجٍ نَبيْليْهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيْعاً بَصِيْراً إنّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيْلَ»[1].

وقد ميز الله الإنسان عن سائر المخلوقات بأن جعله ناطقاً متكلماً عاقلاً مميزاً ثم أوضح له معالم الطريق المؤدية إلى الخير والسعادة في الدنيا وفي الآخرة، (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَينِ ولِسَاناً وشَفَتَيْنِ وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ)[2]، قال بن كثير: أي عينين يبصر بهما ولساناً ينطق به فيعبر عما في ضميره، وشفتين يستعين بهما على

---

(١) سورة الدهر، الآية ١-٣.

(٢) سورة البلد، الآية ٨-١٠.

الكلام، وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه (وهَدَيْنَاهُ النجدينِ) أي الطريقتين، عن عبدالله بن مسعود قال: الخير والشر، وروي عن علي وبن عباس ومجاهد وعكرمه وغيرهم. وقال تعالى: ﴿الذي خلق فسوى والذي قدّر فهدى﴾[1] قال بن كثير: أي خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات، وهدى الإنسان للسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها.

هذه الآيات الكريمة لا تتحدث عن جسم الإنسان في معزل عن روحه ولا توليه العناية مجرداً من عقله، كما أنها لا تهتم بروحه مهملة أمر جسمه ولا تنفرد بذكر عقله دون ذكر خصائصه ومميزاته الأُخرى، بل إنها تتحدث عن خلقه ككل متكامل، جسمه وعقله وسمعه وبصره ولسانه، هذا من حيث أنه يجب أن نعرف الإنسان على هيئته وتركيبه الجسمي والعقلي الذي خلقه الله عليه وألف بينه لا يختلف جسمه مع روحه ولا روحه تختلف مع جسمه في إنسجامهما وآندماجهما في كيان واحد وشخصية واحدة تمثل إنساناً خلقه الله في أحسن تقويم، تبارك الله في أحسن الخالقين.

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

أما من حيث التربية الجسمية والعقلية فإن التربية الإسلامية

(١) سورة الأعلى، الآية ٢-٣.

في سجلها الخالد، كتاب الله وسنة رسوله، قد أعطت لكل منهما ما يستحقه من أصناف التربية السّليمة ورسمت طريقاً مشرقاً وآشتملت على منهج قويم، فيه غنى وهداية لمن سار على تعاليمه واهتدى بمعالمه، فالمصطفى صلى الله عليه وسلم لم يترك خيراً إلاَّ دل أمّته عليه - في عباداتهم ومعاملاتهم وفي أخلاقهم وآدابهم، وفي طرق سلوكهم المعاشي ونظام حياتهم - ولم يترك شراً إلاَّ حذرهم منه، وفي كتاب الله من الهدى والنور ما يكفي، وفي سنة رسوله محمد صلى الله عله وسلم من الإيضاح والإرشاد ما يغني ويشفي، قال صلى الله عليه وسلم: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى .ردا على الحوض.

وقال صلى الله عليه وسلم: لقد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ.

وعلماء المسلمين لم يهملوا أمر التربية ولا قلّلوا من شأنها ولا إستهانوا بها، بل بذلوا فيها قصارى جهدهم، ولكنّ تغير الأحوال التي منيت بها الأمَّة الإسلامية والنكبات التي توالت عليها والعصور التي مرت بها في ظروف قاسية. وتكالب الأعداء الذي ألم بها من الشرق والغرب كل هذه الأمور كانت سبباً لطمس الكثير من معالم التربية الإسلامية والإطاحة بكثير من مجهودات أعلامها،وقد حاول أعداء الإسلام بكل ما يستطيعونه إعفاء

آثارها والقضاء على مآثرها، ولكنّ الله ملّم نوره ولو كره أعداؤه تزل طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك.



إهتمت التربية الإسلامية بتربية الإنسان جسمياً كما إهتمت بتربيته عقليّاً وفكرياً، وإذا تأملنا في كثير من آيات الذكر الحكيم وجدنا أنها تشتمل على هذا النوع من التربية وكذلك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا غرو: فإن قوة جسم الإنسان وسلامته خير عون له على طاعة الله، في أداء ما أوجبه الله عليه من العبادات التي تعتمد على جسمه وعقله معا في أدائها كالصلاة والصوم والحج والجهاد وكذلك العبادات التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم أو رغب فيها كقيام الليل وصيام التطوع وأتباع الجنائز ومساعدة الضعيف وغير ذلك من العبادات، فرايضها وسننها، ومستحباتها.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾[1]، قال القرطبي: قال الشافعي: الطيب المستلذ، فهو تنويع، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٨.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الذين آمنُوا كلوْا من طَيِّباتِ مَا رَزقْناكُم وآشْكرُوْا الّلهِ﴾[1]، قال القرطبي: المراد بالأكل الإنتفاع من كل الوجوه، وقيلَ هو الأكل المعتاد.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الّذِين آمَنُوا لاَ تحرِّمُوْا طَيِّبَات مَا أَحَلّ اللّهُ لكُمْ ولاَ تَعْتَدُوْا إنَّ الَّلهَ لاَ يُحبُّ المعتَدِينَ. وكلُوّا مما رَزَقَكُمْ الّلهُ حَلاَلاً طَيّباً﴾[2]، قال بن كثير قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني» رواه بن أبي حاتم.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا بَالُ أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ولكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨٧-٨٨.

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خذُوْا زِيَنَتكُمْ عِندَ كّلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوْا وآشْرَبُوْا وَلاَ تُسْرفُوْا إنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفينَ﴾[1]، قال بن كثير قوله تعالى: ﴿وَكلُوا واشْرَبُوا ولاَ تُسْرِفُوا﴾، قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية (وكلوا وآشربُوْا ولاَ تُسرِفوا) وقال البخاري: قال بن عباس كُلْ ما شئت والْبِسْ ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة. وقال الإمام أحمد حدَّثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلُوْا واشْربوا والْبِسُوا وتصَدّقوْا من غير سَرَفٍ ولا مخيلة، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» رواه النسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»[2].

وقال القرطبي: (كلُو واشْربوا) عن بن عباس أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً، أو مخيلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، هو ما سدّ الجوعة وسكن الظمأ فمندوب اليه شرعاً وعقلاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال لأنه يضعف الجسد ويميت النفس ويضعّف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة خطّ من بد ولا نصيب من زهد، لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثواباً وأعظم أجراً[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٩١.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ من الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيامةِ﴾[1]. قال القرطبي: قوله تعالى (والطيبات من الرِّزِقِ) الطيبات إسم عام لما طاب كسباً وطعماً، وقال بن عباس وقتادة: يعني بالطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البَحائرِ والسوائب والوصائل والحوامي.

وقيل هي كلّ مستَلَذّ من الطعام.

قلت: بهذه الآيات الكريمة وغيرها من آيات القرآن الكريم أباح الله لعباده أن يتناولوا من الأطعمة والأشربة كلّ ما طاب كَسْباً وطعماً، مّما يتم به غذاؤهم وتلِذّ بتناوله نفوسهم وأباح لهم من اللّباس ما يُوارى سؤآتهم وتتمّ به زينتهم، «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لباساً يُواري سَوْآتِكُم وَرِيْشاً»[2] كما حرّم عليهم منها كلّ مستقذرٍ تَفِر منه النّفس وكلّ ما يعود على الإنسان بضَررٍ في بَدَنِهِ أَوْ عَقْلِهِ «حُرِّمتْ عَليكم المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ والمُنْخَنِقَةُ والموقودة والمتردِيَةُ والنَّطِيْحَةُ ومَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاّ ما ذكيّتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)[3] (يَا أَيُّها الذِّين آمَنُوا إنّما الْخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَكُم تعلمون إنّما يريد الشيْطانُ أنْ يُوقِعَ بَينكم العَداوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ والمَيْسِرِ ويَصُدّكُم عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ)[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٩٠-٩١.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبغ فقال «كلّ شراب أسْكَر فهوَ حَرامٌ» وفيه عن محمد بن عبادة عن سفيان عن عمرو سمعه عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومُعاذاً إلى اليَمن فقال لهما «بَشّرا ويسّرا وعَلِّمَا ولاَ تُنَفِّرَا وأراهُ قال وتَطَاوَعَا» قال فلمّا ولي رجع أبو موسى فقال يا رسول الله إنّ لهم شراباً من العسلِ يُطبخ حتى يعقد والمزر يصنع من الشعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلّ ما أسْكَرَ عَنِ الصَّلاَةِ فهو حَرامٌ».

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنيا خَالِصَةً يَوْم القِيامَةِ﴾[1] قال القرطبي رحمه الله: الزينة هنا الملبس الحسن، إذا قدر عليه صاحبه. وقيل جميع الثياب كما روي عن عمر: إذا وسع الله عليكم فأوْسِعُوْا، من هذه النّصوص يَتَبَيّنُ لنا عناية التّربيةِ الإسلاميّة بالغذاء واللبّاسِ ومدى أهمّية الغذاء لنمّو الجِسْمِ واكْتمالِ قوتِهِ مُسْتَهْدفةً بِذلكَ تقويته وتهيئتُه لتحمّل أعْبَاءَ المَسْؤوليّة المُلْقَاةِ عليه، مِن التّكاليفِ المختلفةِ التّي بفعلها يَستَقيمُ سلوكهُ ويكتمل دينُه ويحوز الفضل وتتم له السعادة في الدنيا والآخرة.

ولا يخفي ما للغذاء الطيّب من أثر في تربية الإنسان تربية جسميّة تَنْبثِقُ عَنها حيويَّتهُ وناشطه، ثم ما لحيويته ونشاطه من الآثار

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

الظاهرة في إنفعالاته وحواسه ونمو طاقته وتهيئته تهيئة ملائمة للاضطلاع بواجباته الدينيّة والمعاشِيَّةِ، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً في الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[1] قال الشوكاني: زادَه بسطه في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب وغيرها، فكان قوياً في دينه وبدنه، وذلك هو المعتبر، لاَ شَرف النّسب، فإِن فضائل النفسِ مُقدّمةٌ عليه[2].

وهناك من المتع والتّدريبات الجسمّية، مِمّا أَبَاحَهُ الدّين الإِسْلَامي، تلك المتع التّي لها أثر في التربية النفسّية والجسمية، بل رغّب فيها النبي صلى الله عليه وأوضح من فوائدها ما جعل لها مكاناً في منهج التربية الاسلامية، قال الله تعالى: ﴿أُحِلّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ الّرفَثُ إلى نِسَائِكُمْ هُنَّ لبَاسٌ ولكم أنتُم لبَاسٌ لَهُنّ عِلِمَ الّلهُ أَنّكم كُنْتُم تَخْتَانُونَ أنْفُسِكُم فتابَ عَلَيْكُم وعَفَا عنكم فالآنَ بَاشِرُوْهُنَّ وابْتغُوا ما كَتَبَ الله لكُم وكُلُوا واشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّن لكُم الخَيطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ﴾[3].

قال القرطبي: وفي البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النِسَاء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى ﴿عَلِمَ الّلهُ أنكُمْ كُنْتُم تَختَانُوْنَ أَنْفُسَكُم فَتَابَ عَليكُمْ وَعَفَا عنكُمْ﴾، يقال خان وآختان بمعنى من الخيانة، أي تخونون أنفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم، ومن عصى الله

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٢) فتح القدير، ج١ ص ٢٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

فقد خان نفسه إذ جلب إليها العقاب. (الرّفثُ) كناية عن الجماع، قاله بن عباس والسّدى. وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من إمرأته[1]. وقال تعالى: ﴿نِسَاؤكم حَرْثٌ لَكُم فَآتُوْا حَرْثَكُم أنّى شِئْتُمْ﴾[2].

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشّباب من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء متفق عليه[3]. وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رواه مسلم»[4].

وقد إهتمت التربية الإسلامية بالناحية الجنسية وأوضحت أمرها جلياً ووجوب إتباع الطرق السّليمة التي تكفل للإنسان متعة منزهة عن كل ما يخالف طبيعة الإتصال الجنسي الذي جعله الله غريزة تدفع بصاحبها إلى إشباعها، وأوضحت التربية الإسلامية ما ينبغي أن يبتعد عنه الإنسان من طرق الإتصال الجنسي الضارة من حيث طبيعتها أو من حيث ما يترتب عليها، فحرّم الزّنا واللّواط وما يثير الغريزة الجنسية لهما من وسائل ومقدّمات، وحرم إتيان المرء زوجته وهي حائض، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحْيضِ قُلْ

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ ص ٣١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٣.
(٣) مشكاة ص ٢٦٧.
(٤) مشكاة، ص ٢٦٧.

هُوَ أَذَىً، فاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ في المَحِيْضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيثُ أَمَرَكُمْ للّهُ﴾[1] .

وقال القرطبي: (أَذىً) أيْ هُو شيءٌ يَتَأَذَّى به المرأةُ وغيرُها، أي برائحة دم الحيض، والأذى كناية عن القذر على الجملة. قوله: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ في المَحيضِ) أي في زمن الحيض، إنْ حَمَلته على المصدر، أو في محلّ الحيض إنْ حَمَلتَهُ عَلَى الإسم، ومقصود هذا النهي ترك المجامعة[2]. (وَلاَ تَقْرَبُوهُنّ حتّى يَطْهُرَنّ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) أي تطهرن بالماء وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطهر الذي يحل به جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهر الجنب. (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللّهُ) أيْ فجامعوهن وهو أمر إباحة، وكنّى بالاتيان عن الوطء، ومن بمعنى في، أي في حيث أمركم الله تعالى، وهو القبل.

ويقول محمد قطب: إن الإسلام يعترف إعترافاً كاملاً صريحاً بالطاقة الحيويّة المنبثقة عن الجسم، فيربيها كما يربي طاقة العقل وطاقة الروح، يربيها لا بالقمع ولا بالكبت ولكن بالتنظيف والتهذيب، والإسلام صريح غاية الصراحة في معالجة الأمور الجسدية، كما هو صريح في معالجة الأمور الجنسية[3].

قلت وقد أباح الإسلام أنواعاً من الرياضات وفنوناً من

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(2) الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٨٥-٨٦.

(3) منهج التربية الاسلامية ص ١٢٨-١٢٩.

التدريبات البدنية مما له أثر في بعث الحيوية والنشاط في الجسم أو في تقوية العضلات، أو في التهذيب النفسي كممارسة بعض الهوايات أو القيام ببعض الحركات البدنية بطرق منظمة ومعتدلة.

قال بن مفلح رحمه الله: الحركة تُعَوِّدُ البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء، وتصلب الفاصل وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صوابا، ووقت الرياضة بعد إنحدار الغذاء وكمال الهضم، والرياضة المعتدلة هي التي تحمرّ فيها البشرة وتربو ويتندى بها البدن(١).

وقال بن القيم: سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأقدام بنفسه، وصارع، واحتجم وتداوى صلى الله عليه وسلم(٢).

وروى البخاري في صحيحة عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى، تغنيان ودفقان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم مُتَغشٍّ بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى، وقالت عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهم أمناً بني أرفدة، يعني من الأمن.

---

(١) الآداب الشرعية، ج ٢ ص ٤٠٨.

(٢) زاد المعاد، ج ١ ص ٤١.

قال السّهار نفوري في حاشيته: قوله، دعهم أمنا، منصوب على الحال، أي إتركهم آمنين، أو مفعول مطلق، أي إيمنوا أمنا، ليس لأحد أن يمنعكم ونحوه، وقوله بني أرفدة، منصوب على الإختصاص، أو منادى. قوله، يعني من الأمن، هذا من كلام البخاري، يشير به إلى أن المراد منه الأمن الذي هو ضد الخوف، وليس هو من الأمان الذي للكفار، وآنتصابُه على أنه مفعول له أو تمييز، ومعناه أتركهم من جهة إنّا أمنّاهم، كذا في العيني.

قال في الفتح: واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات اللهو، وطعن فيه الجمهور، باختلاف القصدين، فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به على إباحة الرقص في اللهو[1].

وروى مسلم في صحيحة عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه، وروى أيضا عن عقبة بن عامر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما آستطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي[2].

وروى البخاري في صحيحة بن عمر قال: سابق رسول الله

---

(١) صحيح البخاري، ج ١٤ المجلد الأول ص ٥٠٠.

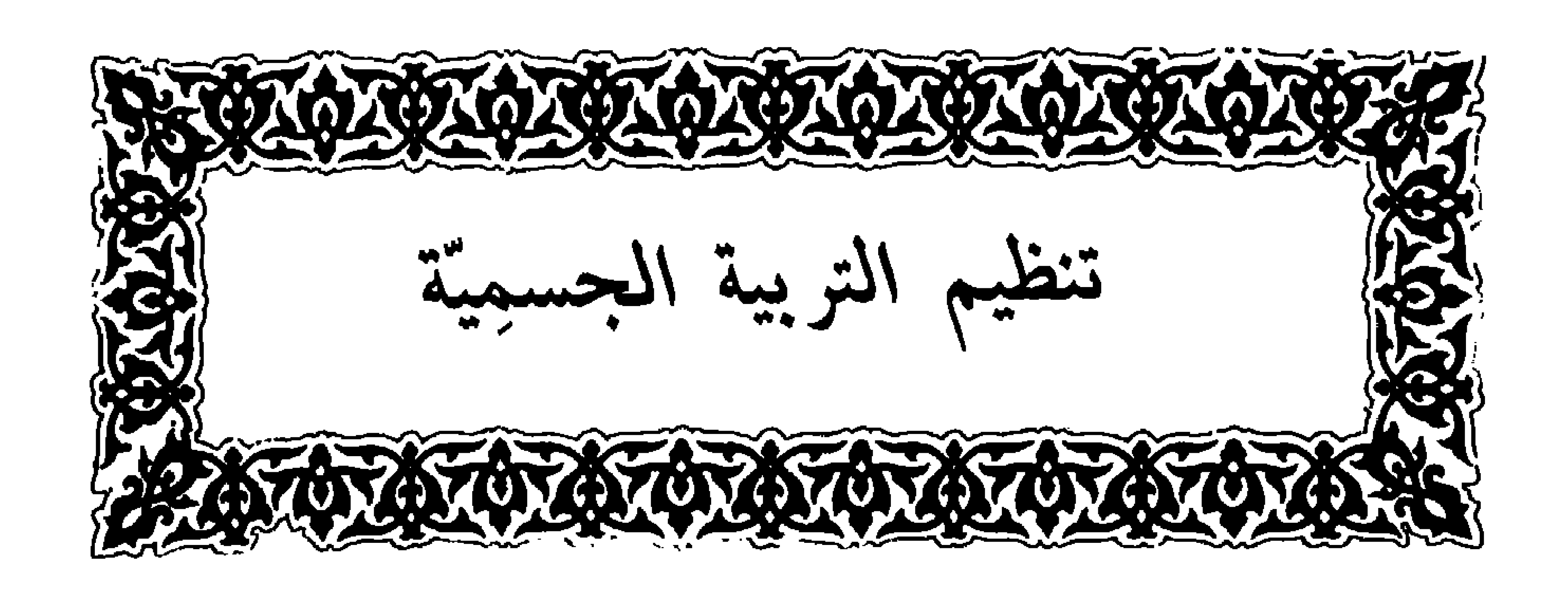
(٢) صحيح مسلم، ج ٢ ص ١٦١.

صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي قد أضمرت، وفي الحديث وسابق بين الخيل التي لم تضمر.

قال في الفتح: وفي الحديث مشروعية المسابقة وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة، الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والإنتفاع بها عند الحاجة، وهي دائرة بين الإستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك، قال القرطبي: لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام وكذلك الترامي بالسهام وآستعمال الأسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب[1].

قلت: ومن خلال ما تضمنته الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ندرك أهمية التربية الجسمية ويتضح لنا مدى عناية التربية الإسلامية بهذا الجانب من شخصية الإنسان وما للتربية الجسمية من صلة وثيقة بالتربية العقلية والروحية ومن هنا يتجلّى أثر التّوازن وأهمّيته في التربية الإسلامية التي تميزت بشمولها وتكاملها وآحتوائها على كل ما فيه صلاح الإنسان وفلاحه، في أموره الدينية والدنيوية، ووقايته من الوقوع في مهاوي الجهل والضلال، والإنحراف عن نهج الحق وطريق السعادة، ولا غرو، فهي مُستَمدّة من هدى إلهى نيرّ ومن هدي بنوي مطهّر، «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّهِ التّي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطّيبات مِن الرِّزقَ».

(١) فتح الباري، ج ٦ ص ٤٧.



تنظيم التربية الجسميّة

لم تقف التربية الإسلامية في تعاليمها عند حدود ما يلزم للتربية الجسمية والعقلية وما ينتج عن ذلك من تطور في نمو الشخصيّة وتكامل بنائها في كيان سليم، ولكنها من ناحية اخرى عملت على تنظيم التَربية الجسمية ووضعَت لذلك معالم يُقْتَدَى بها وتعَالِيمَ يُهْتَدَى بها، كما دعت إلى الأخذ بأسباب المحافظة على سلامة الفرد والوقاية من كل ما يسبب له الضرر أو يكون عائقاً لنموه الجسمي أو العقلي أو يخلّ بتَوازنِه أو يُعَطل شيئاً من صفاته الأساسية للشخصية أو يُقَلِّلُ من فائدتها ويخل بشيء من وظائفها. وقد اشتمل القرآن الكريم وكذلك هَدْيُ الرّسول صلى الله عليه وسلم على كثير من النصوص التي تعالج هذه الجوانب التربوية.

وقد تناولها علماء المسلمين بالتفسير والإيضاح وعنُوا ببيان مقاصدها وتبيان فضائلها ولم يألُوْا في ذلك جهداً. قال الله تعالى «وكلُوا وٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»[1] قال ابن كثير: قال بعض

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية «وَكُلُوْا وَٱشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا».

وقال بن جرير الطبري: عن بن عباس قال: أحلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً ومخيلة [1].

قلت: وهذه الآية الكريمة تشتمل على نظام تربوي منْ وَجْهَين: أحدهما: إباحة الطعام والشّراب: إذ بتناولهما يتغذى جسم الإنسان ويكتمل نموه، وتناولهما أمر ضروري لحياة الإنسان لا يعيش دون تناولهما ولا عوض له عنهما. الثاني: النهي عن الإسراف في الطعام والشراب، وسواء كان الإسراف في كثرة تناول الطعام والشراب وزيادة الشبع والري من مختلف المآكل والمشارب - وهذا ما يتّفق مع ما سأذكره من النصوص فيما بعد - أو كان المقصود بالإسراف هنا تجاوز حدود ما أبيح من الطعام والشراب إلى تناول ما حرمه الله منها - كما قاله بعض المفسرين - فإن تجنب الإسراف في الطعام والشراب يشتمل أيضاً على جانبين هامَّيْنِ من التَّربية، جانب جسمي والآخر نفسي.

الجانب الجسمي: قال بن القيم رحمه الله: في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الإحتماء من التخم والزيادة في الأكل على قدر الحاجة والقانون الذي ينبغي مراعاته في الأكل والشرب. في المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

---

(١) جامع البيان ج٨ ص١٦٢.

وقال إن أكثر الأمراض سببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن.

وقال: مراتب الغذاء ثلاثة: أحدها مرتبة الحاجة والثانية مرتبة الكفاية والثالثة مرتبة الفضيلة، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه فلا تسقط قوته ولا تضعف معها فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس.

وهذا من أنفع ما للبدن والقلب فإن البطن إذا إمتلأ من الطعام ضاق عن الشراب فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع، فامتلأ البطن من الطعام مضر للقلب والبدن، هذا إذا كان دائماً أو أكثرياً، أما إذا كان في الأحيان فلا بأس به، والشبع المفرط يضعف القوى والبدن وإن أخصبه وإنما يقوي البدن بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته[1].

وقال أيضاً: ذكر الله مرض البدن في الحج والصوم والوضوء لسرّ بديع يبين لك عظمة القرآن والإستغناء به لمن فهمه وعقله عن ما سواه، وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحمية عن المؤذي وآستفراغ المواد الفاسدة فذكر سبحانه هذه الأصول

(١) زاد المعاد، ج٣ ص٦٨.

الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة فقال في آية الصوم «فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَرِيْضاً أوَ علَى سَفَرٍ فَعِدة مِنْ أيّامٍ أُخَر» فأباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لإجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذي يخلف ما تحلل فتخور القوة وتخف فأباح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعّفها.

وقال في آية الحج: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرهما أن يحلق رأسه في الإحرام إستفراغاً لمادة الأبخرة الردئية التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر، فإذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الأبخرة منها. فهذا الإستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه. وقد نبّه سبحانه باستفراغ البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ما هُو أصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وأما الحمية: فقد قال تعالى في آية الوضوء «وَإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٍ مِنْكُم مِنَ الغائِطِ أَوْ لاَمَسْتُم النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوْا صَعِيْداً طَيِّباً﴾ فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل وخارج، فقد أرشد سبحانه عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده.[1].

---

(١) زاد المعاد، ج٣ ص٦٤.

وقال السفاريني في غذاء الألباب: الآكل لا يخلو من حالات أربع: إحداها الشبع غير المفرط وقد علمت أنه غير مكروه، والمراد به أن يتجاوز الأثلاث في الأكل على ما في الحديث مجاوزة غير مضرة للآكل في بدنه ولا إسراف. الثانية الشبع المفرط في الأكل وقيل إن ذلك حرام، قال في الآداب الكبرى: إعلم أن كثرة الأكل شؤم وأنه ينبغي النفرة عمن عرف بذلك واشتهر به واتخذه عادة.

وخرج الترمذي وحسّنه وابن ماجه والبيهقي عن بن عمر رضي الله عنهما قال تَجَشَّأَ رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «كف عنا جشاءَك فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة، قال الحاكم صحيح الإسناد.

وأخرج الطبراني بسند حسن عن بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة».

الحالة الثالثة: الإمتثال لما قاله الرسول الشفيق الناصح لجميع الخلق المرشد للمنافع الدينية والدنيوية والمنقذ من الهلاك والمفاسد صلى الله عليه وسلم فهو الحكيم الناصح والعليم الذي أتى بالعلم النافع والحق الواضح، ولهذا قال الحافظ بن رجب عن هذا الحديث إنه أصل عظيم جامع لأصول الطب كلها.

وقد وري أن ابن ماسوية الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيتمة قال لو استعمل الناس هذه الكلمات يعني قوله صلى الله عليه وسلم «حسب بن آدم أكلات يقمن صلبه» إلى

آخـره، لسَلمُوا من الأمـراض والأسقام ولتعـطلت المارستانات ودكاكين الصيادلة. قال الحافظ بن رجب: وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب «الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء».

وقال سلمة بن سعيد: إن كان الرجل ليعيّر بالبطنة كما يعيّر بالذنب يعمله، وقال مالك ابن دينار: ما ينبغي للعاقل أن يكون بطنه أكبر همه وأن تكون شهوته هي الغالبة عليه.

الحالة الرابعة: المبالغة في التقليل من الطعام، من بالغ في تقليل الغذاء فأضّر ببدنه أو قصر عن فعل واجب لحق الله أو لحق آدمي، كالتكسب لمن تلزمه مؤنته حرم عليه ذلك وأن لا يضر ببدنه ولا بشيء منه ولا قصر عن فعل واجب كره له إن خرج عن الأمر الشرعي. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «كلوا واشربوا وتصدقوا ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة»(١).

بهذا يتبين لنا أن الإسراف في الأكل والشرب مكروه ومذموم لما يترتب عليه من وقوع الإنسان في الكسل والخمول وما يقع فيه بسبب زيادة الطعام عن القدر المحتاج له الجسم من التخم التي قد تسبّب الأمراض والعلل، ومن هنا تتجلّى أهمية تنظيم التربية الجسمية وإتباع ما أرشدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أمـا الجانب النفسي: لقـد أوضحت فيما سبق طـرفاً من النصـوص ومن أقوال العلمـاء في الإسراف في تنـاول الـطعـام

(١) غذاء الألباب، ج ٢ ص ١٠٤-١٠٨.

والشراب وزيادة الشبع والإفراط فيه وما لذلك من عواقب ضارة مؤثرة على حيوية الجسم ونشاطه جالبة له الأمراض والكسل ولا ننسى هنا ما للأعراض التي يتعرض لها جسم الإنسان فتسبب له إعتلالاً أو خمولاً أو تعوق بعض أعضائه عن أداء وظائفها الطبيعية من أثر على الناحية النفسية، إذا الإنسان بجانبيه الجسمي والنفسي يمثّل شخصية متكاملة يكتمل كل جانب منها بالجانب الآخر فيؤثر فيه ويتأثر به، وبما أن الإفراط في الشبع له أثر على الجانب الجسمي فإنه كذلك ذو أثر على الجانب النفسي.

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة».

قال القرطبي: «ولا تسرفوا» أي في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يثقل المعدة ويثبّط الإنسان عن خدمة ربه والأخذ بحظّه من نوافل الخير، فإنْ تعدّى ذلك إلى ما فوقه ممّا يمنعه القيام بالواجب عليه حرم عليه وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه[1] وقال بن القيم: فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن، وإن ثقل الطعام والشراب يلازمه فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشّهوات التي يستلزمها الشبع[2]. وقال السفاريني: وأمّا منافع قلة الغذاء بالنسبة للقلب

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ١٩٤.

(٢) زاد المعاد، ج ٣ ص ٦٨.

وصلاحه فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النّفْس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك[١].

وقال أيضاً: ذكر بن عبدالبر وغيره أن عمر رضي الله عنه خطب يوماً فقال «إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة مؤذية للجسم وعليكم بالفضل في قوتكم فإنه أبعد من الأثر وأصح للبدن وأقوى على العبادة وإن إمرأ لَنْ يهلك حتّى يُؤثر شهوته على دينه.

وقال الفضيل بن عياض: خصلتان يُقَسِّيان القلب، كثرة الكلام وكثرة الأكل. وروى المروزي بإسناده عن محمد بن واسع أنه قال «من قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق وإن كثرة الطّعام ليشغل صاحبه عن كثير مما يريد».

وقال أبو عبيدة الخواص: حتفك في شبعك وحظك في جوعك إذَا أَنْتَ شبعتَ ثقلت فنمت إستمكن منك العدوْ فجثم عليك وإذا أنتَ تجوّعت كنت للعدوّ بمرصَد[٢]. وقال مالك بن دينار: ما ينبغي للعاقل أن يكون بطنه أكبر همه وأن تكون شهوته هي الغالبة عليه. وكان يقال: لا تسكن الحكمة معدة ملأى.

وقال بن مفلح: قوله تعالى (وكلُوا وَآشْرَبُوا ولاَ تُسْرِفُوا) أمر سبحانه بإدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه بقدر ما ينتفع به البدن، فمتى جاوزه أسرف، فكل واحد من

---

(١) غذاء الألباب، ج ٢ ص ١٠٧.

(٢) غذاء الألباب، ج ٢ ص ١٠٧.

عدم الغذاء والإسراف فيه مانع من الصحة جالب للمرض، فلهذا قال من قال: الطبُّ حفظ الصّحة في نصف آية[1].

وقال السفاريني: قال علماؤنا: وليس من السنّة ترك أكل الطيّبات، ولا بأس بالجمع بين طعامين. ومن السرف أن تأكل كلما إشتهيت، قال الإمام بن الجوزي في تبصرته: الشبع يوجب تَرهّل البدن وتكاسله وكثرة النوّم وبلادة الذهن وذلك بتكثير البخار في الرأس حتى يغطي موضع الفكر والذكر، والبطنة تذهب الفطنة وتجلب أمراضاً عسره، ومقام العدل أن لا يأكل حتى تصد الشهوة وأن يرفع يده وهو يشتهي الطعام، ونهاية المقام الحسن قوله عليه الصلاة والسلام «ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس» والأكل على مقام العدل يصحّ البدن ويبعد المرض ويقلل النوم ويخفف المؤنة ويرقق القلب ويصفّيه فتحسن فكرته وتسهل الحركات والتعبّدات ويحصل الإيثار.

ونقل عن إبراهيم بن أدهم قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان والشبع يميت القلب ومنه يكون الفرح والمرح والضحك[2].

ولو سرنا في ذكر ما ورد من الأقوال في الإسراف في الأكل وما قيل في الإقلال منه وفي التوسط فيه وما يترتب على كل واحد

---

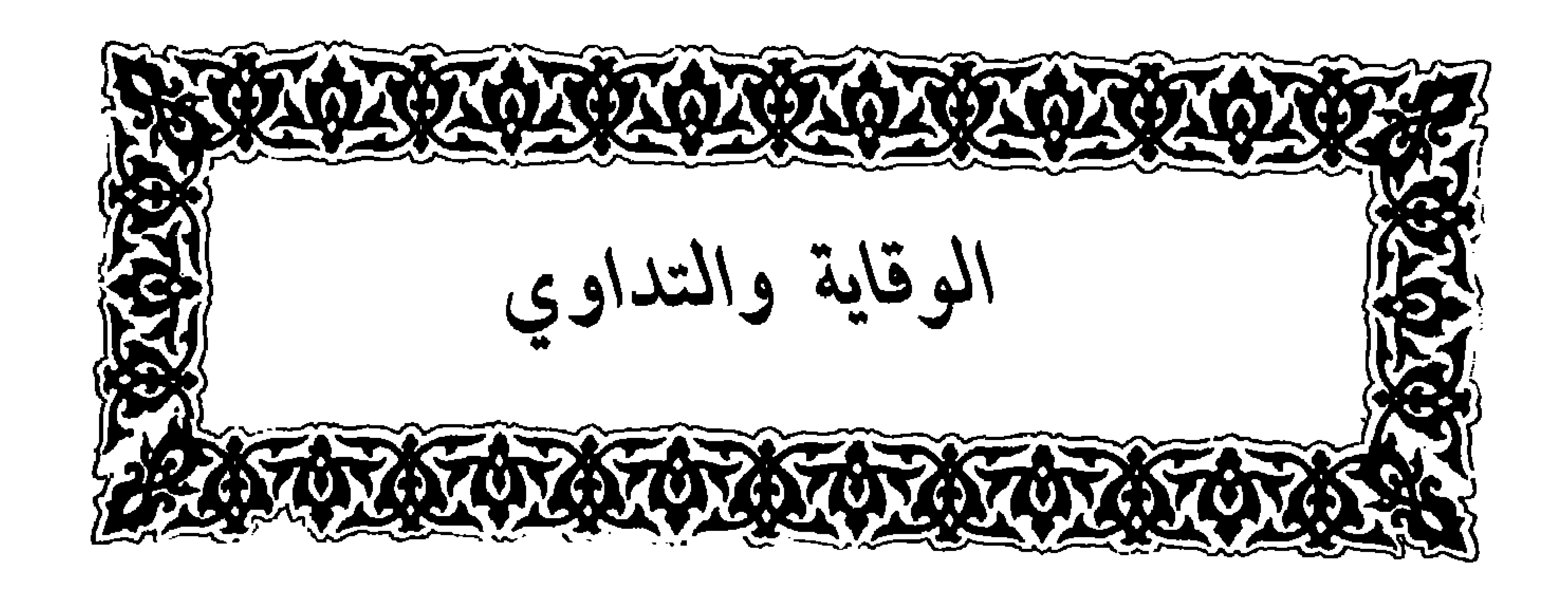
(١) الآداب الشرعية، ج ٢ ص ٣٧٩/٣٨٠.

(٢) غذاء الألباب، ج ٢ ص ١١١.

منها من المنافع أو المضار لطال الحديث وبلغ حدود الملل، هذا فيما يتعلق في تناول الأطعمة والمشارب المباحة وكـذلك فيمـا سواهما من الشهوات المباحة.

أما على قول بعض المفسرين أن الإسراف المقصود في الآية الكريمة ﴿وكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا﴾ هو تجاوز ما أحل الله إلى ما حرمه من الطعام والشراب، فانه مما لا شك فيه أن تناول المحرمات من المآكل والمشارب له أضرار كبيرة وعواقب وخيمة تعود على الإنسان بالشر والوبال في حياته الدنيا وفي الآخرة.

وسأورد فيما بعد فصلاً خاصاً بذلك إن شاء الله وبه العون وعليه الإتكال.



الوقاية والتداوي

إشتملت التربية الإسلامية على أكمل الإرشادات وأشمل النصائح لاتباع طرق الوقاية ومحافظة الإنسان على سلامته الجسمية والنفسية وما يعود عليه في ذلك من فوائد. كما تضمنت من ناحية أخرى الإرشاد والتوجيه إلى تناول الأدوية المباحة واستعمالها ومعالجة المريض بالطرق والأساليب التي لا تتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ولم يترك المصطفى صلى الله عليه وسلم خير للأمة. في أمور الدين أو الدنيا - إلَّا دلها عليه ولا شراً إلَّا حذرها منه، ولم يترك صلى الله عليه وسلم أمر الصحة الجسمية والنفسيّة دون بيان وإرشاد بل رسم فيه هديا بأقواله، صلى الله عليه وسلم، وبأفعاله، كما أن القرآن الكريم قد إشتمل على أصول التربية الصحيحة.

فالتربية الإسلامية قد بَيّنَتْ نظاماً كاملاً للطعام والشّراب وللنوم وآللباس، كما نظمت شأن النكاح، وطرق الوقاية والمحافظة على سلامة الإنسان، وآعتبرَتْ طاقة الإنسان ومقدرته، وسأتحدث عن هذه الأشياء ضمن الحديث عن الوقاية، والتداوي إن شاء الله.

الوقاية:

قال الله تعالى: ﴿والَّلهُ جَعَلَ لكُمْ مِّما خَلَقَ ظِلاَلاً وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُم الحَرّ وَسَرابِيلَ تَقِيْكُمْ بَأسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِم نِعْمَتَهُ عَليْكُمْ لَعَلّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[1]. قال القرطبي: (ظلالا) الظلال: كل ما يستظل به من البيوت والشجر، وقوله (مما خلق) يعم جميع الأشخاص المظلة.

(أكنانا) الأكنان: جمع كن، وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك، وهي هنا النيران في الجبال جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها.

(وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيْلَ تَقِيكم الحَرَّ) يعني القمص، واحدها سربال. (وَسَرَابِيْلَ تقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ) يعني الدروع التي تقي الناس في الحرب، قال العلماء: في قوله تعالى: ﴿وسَرَابِيْلَ تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ دليل على إتخاذ الإنسان عدة الجهاد ليستعينوا بها على قتال الأعداء، والحفاظ على سلامتهم من وقع السّهام.

وقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم تقاة الجراحة. وقال الشوكاني عن الزجاج: (وَجَعَلَ لكُمْ سَرَابِيْلَ تَقِيْكُم الحَرَّ) كل ما لبسته فهو سربال. ومعنى تقيكم الحر، تدفع عنكم ضَرر الحرّ، وخصّ الحرّ ولم يذكر البرد إكتفاء بأحد الضدين عن ذكر الآخر.

ووجه تخصيص الحرّ بالذكر أن الوقاية منه كانت أهمّ عندهم من الوقاية من البرد لغلبة الحر في بلادهم[2].

---

(١) سورة النحل، الآية ٨١.

(٢) فتح القدير، ٣/١٨٥.

قلت: وفي ذلك دليل على إتخاذ أسباب الوقاية والمحافظة على الصّحة والسّلامة من الأعراض التي تُلْحِقُ بالجسم مرضاً أو ضرراً أو أذى، كالحر والبرد وسهام الأعداء وغيرها، مما يودي بحياة الإنسان أو يوقعه في شيء من العلل.

وفي الصّحيحين: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطّاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون رجز، أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فراراً منه.

وقد تضمّن هذا الحديث أصلاً من أصول الوقاية الصحية، التي تقتضي أن يحصر الوباء في موضعه منعاً لانتشاره في البلاد عن طريق العدوى.

وقد أخذ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمضمون هذا الحديث وطبقه عمليّاً، ففي صحيح مسلم عن عبدالله ابن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[1]، لقيه أهل الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس فقال عمر إدع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم واستشارهم، وأخبرهم أنّ الوباء قد وقع بالشام، فآختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه،

(١) هي قرية في طرف الشام، مما يلي الحجاز.

وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال إرتفعوا عني، ثم قال أدع لي الأنصار، فدعوتهم له فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال إرتفعوا عني، ثم قال: أدع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه رجلان، قالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فاصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراداً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أباعبيدة، وكان عمر يكره خلافه، نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.

قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، قال: فحمداً لله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

وفي قول الله تعالى: ﴿وكُلُوْا واَشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أيضاً أصل من أصول الوقاية الصحيّة.

قال بن القيم: أرشد عباده إلى ما يقيم البدن من الطعام والشّراب لإدخاله عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به

البدن، في الكميّة والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانع من الصّحة جالب للمرض. أعني عدم الأكـل والشرب أو الإسراف فيه، فحفظ الصّحة كله في هاتين الكلمتين الإلهّيتين. ولا ريب أن البدن دائمًا: في التحلّل والإستخلاف، وكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لنفاذ مادتها[1]. ولما كانت الصحة من أجلّ نعم الله على عبده وأجزل عطاياه، وأوفر منحه - بَلْ العافية المطلقة أجل النّعم، فحقيق لمن رُزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها، عمّا يضادّها.

وفي البخاري، من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصّحة والفراغ.

وفي الترمذي من حديث عبدالله ابن محصن الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا.

وقد إشتمل كثير من العبادات ومستلزماتها على أنواع من الوقاية الصَّحية، فالوضـوء للصلاة يتكـرر خمس مرّات في اليـوم والليلة، وكذلك الغسل من الجنابه، والاغتسال يوم الجمعة ومسّ الطيب ولبسُ الثياب الحسنة. والسّواك، ومثل ذلك تقليم الأظفار، ونتف الأبط وحلق العانة، والعناية بشعر الرأس واللحية بالتنظيف والطيب، كل هذه من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي

(١) الطب النبوي، ص ١٦٧.

من الوقاية الصحية لاشتمالها على النظافة في البدن واللباس، التي هي من أسس الصحة.

وكذلك فإن الصيام والحج والصلاة وغيرها من العبادات التي شرعها الدين الإسلامي كلها تتضمّن جوانب هامة. من الصحة النفسية والبدنية، وكذلك فإن تناول الطيبات من المآكل والمشارب التي أذن الله في تناولها دون إسراف أو نقص - وكذلك الإستمتاع الجنسي - بالطرق المشروعة - كل هذه الأمور لها أثر محمود في الصحة النفسيّة والجسمية، ولا سيّما إذا أخذ فيها طريق التوسط والاعتدال، وتجنب الإسراف في تناولها والاستمتاع فيها، وكذلك النقص فيها عن الكفاية فإنه بمقابل الاسراف فيها.

التداوي:

روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لكلّ داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل.

وفي الصحيحين: عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء».

وفي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: نعم يا عباد الله، تداووا فإنّ الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال الهرم، وفي لفظ: «إن الله لم ينزل داء إلا

أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله». وفي المسند والسّنن، عن أبي خزامة، قال: قلت يا رسول الله، أرأيت رقي نستر قيها ودواء نتداوى به، وتقاة تنقيها، هل ترد من قدر الله شيئا فقال: هي من قدر الله.

قال بن القيم رحمه الله: قد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسبّبات وإبطال قول من أنكرها، وفيها الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحرّ والبرد بأضدادها، وفيها كذلك رد على من أنكر التداوي وقال: إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قد قدر فكذلك وأيضاً: فإن المرض حصل بقدر الله وقدر الله لا يدفع ولا يردّ.

وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأما أفاضل الصحابة: فأعلم بالله وحكمته وصفاته، من أن يوردوا مثل هذا[1].

قلت: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي، وقد تداوى صلى الله عليه وسلم وتعالج غير أنه صلىّ الله عليه وسلم لم يترك الأمر مُطْلَقاً بَلْ بينَّ لأمّته طُرُقَ الخيرْ، وأسباب السّعادة، ونهاهم عن إتّباع مسالك الشر، حذّرهم من الوقوع في أسبابه، فنهى صلى الله عليه وسلم عن التّداوي بالأشياء المحرّمة والمعالجة بالرقي والتّعويذات التي تتنافى مع أصول الشّريعة الإسلامية المطهّرة، وتعاليمها النّيرة.

---

(١) الطب النبوي، ص ١٠.

ففي صحيح مسلم، عن وائل الحضرمي أن طارق ابن سُويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: إنّه ليس بدواء، ولكنّه داء.

وفي سنن أبي داود، عن أبي الدّرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إن الله أنزل الداء والدّواء، وجعل لكل داء دواء، فتداوَوْا ولا تتداوَوْا بحرام.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الدّواء الخبيث، والخبيث، قيل: هو النّجس أو الحرام، وقيل الخمر، وفي صحيح مسلم عن عوف ابن مالك الأشجعي قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك، فقال: إعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.

قال ابن القيم رحمه الله: في قوله صلى الله عليه وسلم: «لكلّ داء دوَاء» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدّواء، فإن المريض إذا إستشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرّجاء، وبرد من حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه إنبعثت حرارته الغريزية، وكذلك الطبيب: إذا علم أن لهذا الداء دواءً، أمكنه طلبه والتفتيش عليه[1].

وفي سنن ابن ماجه، من حديث أبي سعيد الخدري، قال:

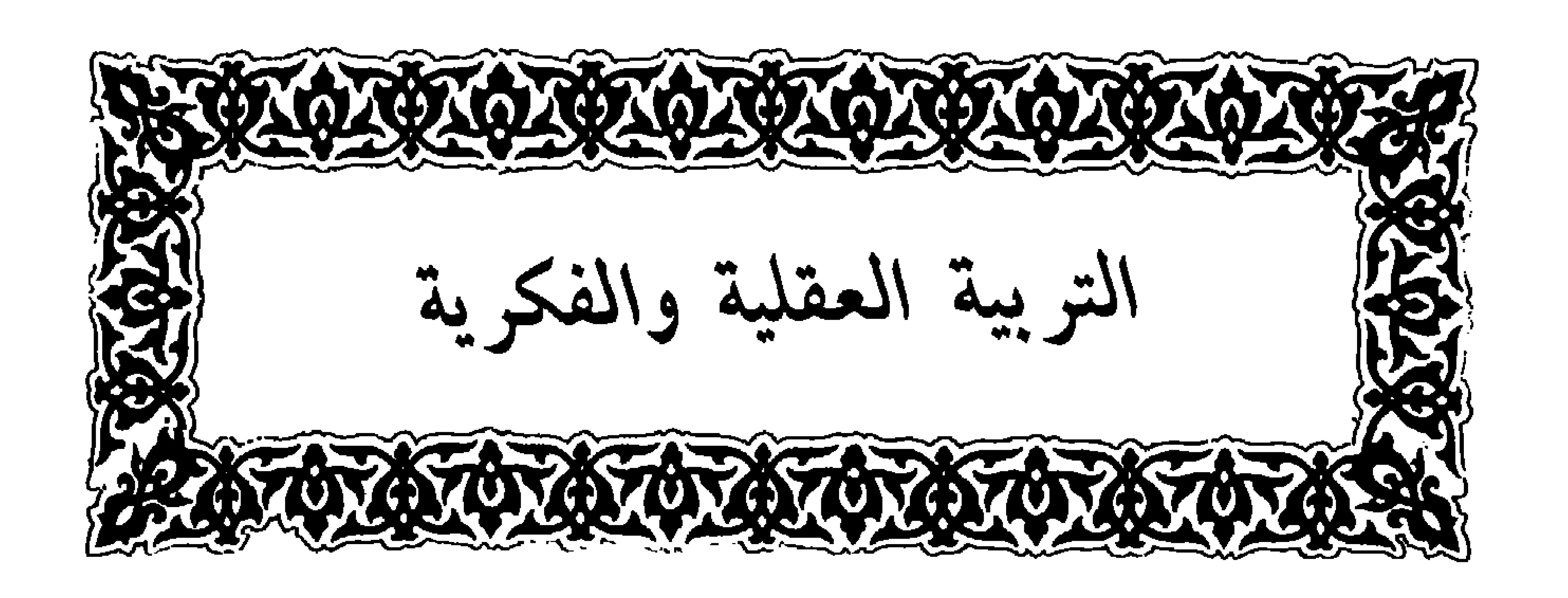
(١) الطب النبوي، ص١٢.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دخلتم على المريض: فنفّسوا له في الأجل، فإنّ ذلك لا يردّ شيئاً، وهو يُطِيّب نفس المريض.

ففي هذا الحديث نوع شريف من العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يُطيّب نفس العليل، من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة، فيساعد على دفع العلة أو تخفيفها.

قال ابن القيم: وتفريح نفس المريض وتطييب قلبه، وإدخال ما يسرّه عليه، له تأثير عجيب، في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوي بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، فكثير من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونهم، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم، ومكالمتهم إيّاهم، وهو أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلّق بهم.

وبما ذكرته من الأحاديث يتبين لنا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التّداوي وأنّ التّداوي والمعالجة من هدية صلى الله عليه وسلم ما لم يكن ذلك بالأدوية المحرمة أو الرقي المشتملة على نوع من أنواع الشرك.



التربية العقلية والفكرية

سبق أن تحدثت عن الشخصيّة ككل متكامل، لا آنفصال لجانب منها عن الجوانب الأُخرى، مبيّناً أن التجزءة التي نادى بها أصحاب النظرية الثنائية لا حقيقة لها من الواقع.

وتحدثت كذلك عن التربية الجسمية، كجانب من جوانب التربية، لا على أساسٍ إنفصالي بين التربية الجسمية والعقلية، أو تمييز بين جوانب الشخصية، يدعو إلى تجزءة التربية والتفريق بين جوانبها، ومن هنا أوضحت مدى الترابط والتكامل بين جوانب الشخصية ومقوماتها، المادية والروحية، ومن ثم الترابط والتكامل في التربية، وتوحّد أهدافها.

وسأتحدث كذلك عن التربية العقلية والفكرية على غرار الأسس والتكامل والإنسجام التي أوضحتها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[1]، بهذه الآية الكريمة يمتنّ الله على عباده بما

(١) سورة الملك، الآية ٢٣.

أنعم به عليهم وهي نعم عظيمة يجب أن يشكر على جوده بها وقدرته على إكمالها، حيث أنشأ الانسان وجعل له السمع والبصر، فيسمع ويرى ما يدور حوله في الكون، وجعل له الفؤاد، وهو القلب، الذي يدرك حقائق الأمور.

وهذه القوى الثلاث هي أكمل القوى الجسمانية التي بواسطتها يتم الإدراك، ويتحقّق التأمل والتفكير، إذ بدونها لا يقوى الانسان على النظر في مظاهر الكون وخصائص الطبيعة، كما أمره الله بذلك، ليستدل بها على عظمة الله وكمال قدرته وجلال وحدانيته. وقد نبه الله على عظم شأن هذه القوى الثلاث - السمع والبصر والفؤاد - وبين أهميتها، ودل على خطرها فقال: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا)[1] .

وقد نبه الله سبحانه وتعالى على أهمية قلب الانسان، وبين مدى خطورته في توجيه سلوكه فقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوْبُ الَّتِي في الصُّدُوْرِ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قلوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُوْنَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾[3] .

وقال: ﴿أفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ القُرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4] .

---

(١) سورة الأسرى، الآية ٣٦.

(٢) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٤) سورة محمد، الآية ٢٤.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُم وَأَبْصَارَكُمْ وخَتَمَ عَلَى قُلوْبِكُم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ على قلوْبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَطبَعَ علَى قُلُوْبِهِم فَهمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[3].

ومثل هذه الآيات التي تدلَ على أهمية هذه القوى الثلاث كثيرة في القرآن، وهي صريحة في الدلالة على أن القوى العقلية تعتمد في الوصول إلى مداركها على القوى الجسمية، وأن هذه القوى تعمل معاً في تظَافر وآنسِجَام.

وقال تعالى في سورة قّ: ﴿إنّ في ذلِكَ لذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهْوَ شَهِيْدٌ﴾ وفي حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النّبي(ص) «ألا وإن في الجسد مصغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وإذا تأملنا ما جاء في القرآن الكريم من الآيات في شأن التربية الفكرية والعقلية، وجدنا أن كثيراً من الآيات تدعـو إلى التأمل في الكون والتفكير في ما أودع الله فيه من خصائص وما

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ٧٠.
(٣) سورة التوبة، الآية ٨٧.

سيّر فيه من نظام متقن وما فيه من عجائب صنعه، (أوَلَمْ تَنْظُرُوْا فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ).

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

وقال تعالى: ﴿ونُرِيْهِمْ آياتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يتفكّـرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَـا خَلَقَ اللّهُ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما إلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيْمٍ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنَا لَهُم مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُوْنَ﴾[4].

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم آيات تنتهي بقوله تعالى، أفلا يبصرون، أو يسمعون أو يفقهون، أو تكون منتهية بكلمة (أولو الأبصار) أو كلمة (أولو الألباب) أو كلمة (يتفكرون) وهذه الآيات الكريمة تخاطب الجانب العقلي من الإنسان، مسترعيـة تفكيره وتأمله في آيات اللّه وعجائب قدرته وكمال صنعه.

---

(١) سورة يونس، الآية ١٠١.
(٢) سورة الروم، الآية ٨.
(٣) سورة الشعراء، الآية ٧.
(٤) سورة يس، الآية ٧١.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِلَهُمْ كَمْ أهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِن القُرونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ. أَوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ الْمَاءَ إلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأكُلُ مِنْهُ أنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُم أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لكُمْ مِنْ أَنْفسِكُمْ أزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذَلِكَ لآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَألْوَانِكُم إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمَيْنَ. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. ومِنْ آيَاتِهِ: ﴿يُرِيْكُمْ الْبَرْقَ خَوْفَاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

ومثل هذه الآيات - التي تفتح أمام العقل الانساني آفاقاً واسعة للتفكير، وتعرض له آيات من أنواع متعددة للتأمل - كثير في القرآن الكريم، وقد وردت بأساليب وصيغ مختلفة حسب ما يلائم الحال، ولا شك أن تدبّر الآيات والنظر إلى آيات الله الكونية والتفكير في خصائصها وطبائعها وفي قدرة الباري تعالى على خلقها، ووضعها في نظام دقيق لا يضطرب ولا يتعارض مع بعضه كل ذلك فيه تنمية لعقل الإنسان وتوسيع لدائرة تفكيره.

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الروم، الآيات (٢١-٢٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوات وَالأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوي الَّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ فَسَلَكَهُ يَنَابِيْعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثم يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

وفي تفسير آية آل عمران السابقة «إنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ» الآية، يقول الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمه الله: وفي ضمن ذلك حَثُّ العباد على التفكير فيها والتبصر بآياتها وتدبر خلقها، ففيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصّادقين، وينبّه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهيّة.

وخصّ الله بالآية أولي الألباب، وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم[4].

وقال الراغب الإصفهاني: اللبُّ العقلُ الخالص من الشوائب، وسمّي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) سورة الزمر، الآية ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ج ٢٢٥/١.

كاللّباب واللّب من الشيء. وقيل هو ما زكى من العقل، فكلّ لبّ عقل، وليس كل عقل لبّاً، ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب، نحو قوله: (وَمَنْ يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولو الألباب).

ولم يقف القرآن الكريم في توجيه العقل البشري عند حدّ التفكير والتأمل في آياته الكونية وما أودعه فيها من نظام دقيق، لا يضطرب ولا يلتبس بعضه في بعض (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[1].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الّذِيْنَ كَفَرُوْا أنَّ السَّمٰوات والأَرْضِ كـانَتَا رتْقـاً فَفَتقنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أفَلاَ يُؤْمِنُون. وجَعَلْنَا فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيْدَ بِهِمْ وجَعَلْنَا فِيْهَـا فِجَاجَـاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يُهْتَدُوْنَ. وجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحفوْظاً وَهُمْ عَنَ آيَاتِهَا مُعرِضُوْنَ. وَهـوَ الّذِي خَلَقَ اللَّيْـلَ وَالنّهارَ والشمسَ والقَمـرَ كُـلّ في فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ﴾[2].

بل وجهه كذلك إلى ناحية التدبّر والإعتبار بأحوال من مضى من الأمم، ومـا تغيرّ من الأحـوال، ومـا تعـاقب من الأسـلاف والأجيـال، وقصص له من أخبـار الماضين، وبين لـه من سير الغابرين، وأوضح له من سننه في الهالكين ما ينير له الطريق، ويفيده عبرة ويزيده معرفة.

---

(١) سورة يسٓ، الآية ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات (٣٠-٣٣).

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرىَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيْدٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وكُلًا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّت بِهِ فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحقّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلمُؤْمِنِيْنَ)[3].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نقُصُّ عَلَيْكَ مِن أنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَا ذِكْراً﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فاقْصُصِ القَصَصَ لَعلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أوْحَيْنَا إلَيْكَ هَذَا القُرآنَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ إلْتَقَيَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللّهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهم مِثليهِمْ رَأيَ العَيْنِ وَالله يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إنّ فِي ذَلِكَ لعِبْرَةً لِأولي الأَبْصَارِ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٠١.
(٢) سورة هود، الآية ١٠٠.
(٣) سورة يوسف، الآية ١٢٠.
(٤) سورة طٰه، الآية ٩٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.
(٦) سورة يوسف، الآية ٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية ١٣.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيْلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيْلٍ، وأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيْلَ - إلى آخر السّورَةِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُوْنِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِم إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمعُوْنَ﴾[1].

قلت: والقرآن الكريم حافل بمثل هذه الآيات الكريمة التي تتضمن إيْقَاظَ العقل وآستثارتِه إلى التفكير، وتوعيته إلى العبرة، ﴿إِنَّا لَمّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ في الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لكُمْ تَذكِرَةً وتَعْيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2]. ﴿فَأراهُ الآيَةَ الكُبْرَى فكذّبَ وَعَصَى ثمّ أَدْبَرَ يَسْعَى فحشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا ربّكُمْ الأعْلَى. فَأخَذَهُ اللّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأوْلَى. إنّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمنْ يَخْشَى﴾[3].

ويقول محمد قطب: الإسلام يحترم الطاقة العقلية ويُشجعها، ويربّيها لتتجه في طريق الخير. ولكي يصل إلى ذلك فإنه يمزجها بمزيج الرّوح، ويستنبتها من تربة الرّوح الأريجة المشعّةِ، لتستمد من أريجها العذب وإشعاعها الطليق.

ويبدأ الإسلام التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدّد وراء الغَيبيَّات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها[4].

---

(١) سورة لم السجدة، الآية ٢٦.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٢.

(٣) سورة النازعاتسورة النازعات الآيات (٢٠-٢٦).

(٤) منهج التربية الإسلامية ص ٩١.

وقال محمد شديد: حمل القرآن على الغافلين الّذين يُعطلون عقولهم ويغلقون في أنفسهم منافذ المعرفة والنور، وهبط بهم دون مستوى الأنعام. «ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهنّمَ كَثيراً من الجِنّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلهُمْ أعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُوْنَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُوْنَ بِهَا، أوْلئِكَ كَالأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أولَئِكَ هُمْ الغَافِلُونَ».

وهاجم التقليد والمقلدين، وصوّرهم في صور السّائمة التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تنطق.

«وإذَا قِيْلَ لَهُمْ إتَّبِعُوْا مَا أنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما ألفَيْنَا علَيْهِ آبَاءَنَا أو لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يهتَدُوْنَ، ومَثَلُ الّذِيْنَ كَفَرْوا كَمَثِلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عميٌ فَهُمْ لاَ يُعْقِلُونَ».

وذم الهوى وأصحابه وآعتبره حجاباً يحول دون السّمع والبصر والفهم والهداية، «أفَرَأيْتَ مَنْ اتَّخذَ إلهَهُ هَوَاهُ وأضلّه اللّهُ عَلَى عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى سَمْعِه وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِ اللّهِ أفَلاَ تذكّرُوْنَ»[1]. قلت: وبهذا يتبين لنا أن التربية الإِسلامية ليست تربية مقفلة (أفَلاَ يَتَدبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوْبٍ أقْفَالُهَا﴾ وليس فيهما ما يدعو إلى تجميد الأفكار أو تعطيل العقول، كلاّ، بَلْ إنها تربية تطوير العقول الزاكية وتنوير الأذهان الصافية، وصقل الأفكار النّيرة.

---

(١) منهج القرآن في التربية، ص ١٦١-١٦٣.

وإنّ ما ينسب إلى الإسلام من تجميد أو تعطيل المواهب العقليَّة أو تضييق الآفاق الفكريّة، ما هو إلّا من افتراء أعداء الإسلام المغرضين، أو إعتقاد القاصرين الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا يدركون ما آشتمل عليه من أصول التربية السليمة، ومناهجها القيّمة التي تكفل للإنسان العزة والكرامة وتسمو به عن الهبوط في مهاوي الذلة والخنوع، وترتفع به عن الإنحدار في حياة شهوانية بهيميّة، بما تتيح له من إشباع رغباته وتوفير ما يلائم ميوله الطبيعية، في طرق سليمة، ونهج قويم.

ولم تقف التربية عند حدود ما ذكرته من توجيه العقل وإثارة إنتباهه للتأمل في مظاهر الطبيعة والتدبر لما قصّ له من أخبار الأمم وقصص الرسل، بل وجهه إلى التفكير في أمور كثيرة، ومن أهم ذلك ما أنعم الله به على الإنسان من توفير ما يحتاج إليه من أسباب الرزق وموارد العيش، وقد نبه تعالى على ذلك ممتناً على عباده بأفضاله عليهم، ومُدلِّلاً على قدرته وسعة جوده.

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً فَأَنْبَتْنَا فِيْهَا حَبّاً وعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وأَبّاً مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الذّي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضِ وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ في الْبَحْرِ بأَمْرِهِ وسَخَّرَتَكُمْ الأَنْهارَ. وسَخَرَ لَكُمْ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ وسَخَّرَ لكم اللّيْلَ وَالنَّهارَ. وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوْهُ

(١) سورة عيس، الآية (٢٤-٣٢).

وإنْ تَعُدّوا نِعْمَتِ اللّهِ تُحْصُوهَا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكُمْ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرةً وَبَاطِنَةً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إنَّ في السَّمَوَاتِ والأَرْض لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنيْنَ. وَفي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثّ مِنْ دَابَّةٍ آياتٍ لقَوْمٍ يُوْقِنُوْنَ. وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ والنّهَارِ وَمَا أنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فأحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ آياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذي سَخَّرَ لكُمْ الْبَحْرَ لتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيْهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ﴾[4].

ومثل هذه الآيات كثير في القرآن، تعبر عن نعم متعددة، وفضائل متنوعة مذكرة الإنسان بالاء ربّه، وإلى جانب ذلك نجد أن القرآن الكريم حافلٌ بآيات التشريع والأحكام، والحقوق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية وبيان الحلال والحرام، وآيات الآداب والأخلاق، وكلها تتضمن تربيته تربية عقليَّة نَيِّرة، تبصرةً له وشحذاً لمواهبه العقليّة، وتثقيفاً وتنمية لقدراته الفكرية، وما ذاك إلّا ليدرك أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً، جعله مشتملاً على هذه الخصائص التي يسير عليها في نظام باهر وإتقان.

(تَبَارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الْخَالِقِيْنَ) (الّذِي أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٢-٣٤).
(٢) سورة لقمان، الآية ٢٠.
(٣) سورة الجاثية، الآيات (٣-٥).
(٤) سورة الجاثية، الآية ١٣.



التربية الرّوحيّة

سبق أن تحدثتُ عن التربية الجسميّة والتربية العقلية والفكرية وعن التوازن الطبيعي بين جوانب الشخصيّة، ومدى إنسجامها في كيان واحد متكامل القوى يمثل شخصيّة واحدة، تعبر عن إنسان (يَا أيُّها ٱلإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيْمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أيِّ صُوْرَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ.

وخلال حديثي عن التوازن الطبيعي بين ٱلجوانب التي تحدثتُ عنها، ومدى الإنسجام والتكامل بينها - تَبَارَكَ اللّهُ أحْسَنُ الْخَالِقِيْنَ - أوضحت أن ما يقوله أصحاب النظريات الثنائية، تلك التي ترى الانفصال بين الجسم والعقل، وترى في الإنسان شخصية مزدوجة لا يؤيدّه شيء من الواقع الطبيعي للشخصية، والقرآن الكريم لم يدع شيئاً من هذه الجوانب إلّا أعطاه نصيباً من العناية، ووفر له ما يسدّ حاجته ويروي غلته في إعتدال وتوازن، وبملاءمة بين حاجات الإنسان، الجسمية والروحية والعقلية والفكرية.

وسأتحدث هنا عن التربية الروحية مبيناً مدى إرتباطها بجوانب

التربية الأخرى، ومدى التكامل والتكافل بين الجانب الروحي والجانب الجسمي والجانب الفكري والعقلي، وتأثر كل منهما بالآخر، بحكم التكامل والتكافل بينها.

قال الدكتور الجمالي: إنّ القرآن ينظر إلى الإنسان لوحدة غير مجزأة. وهو يرفض رفضاً باتاً الفلسفات التي تعني بالمادة وتهمل الروح، أو التي تدعو إلى الحياة وتهمل الدنيا تماماً فتنكر التمتع المتزن المعقول بالطيبات. ففلسفة القرآن موحّدة لذات الإنسان. فالعقل والعاطفة والفعل غير منفصل الواحد عن الآخر.

أما التطور في التربية القرآنية فإنه تطوّر يدعو إلى التسامي وإلى إرتفاع الإنسان إلى المثل الأعلى وإلى الحياة المثلى فالتطور المحمود هو الذي يسير بالإنسان نحو الأفضل والأكمل. أما التطور الذي يرجع بالإنسانية إلى الوراء ويقرّب الإنسان من الوحشيّة البهيمية فليس من الإسلام في شيء. إذن فالعمل من أجل السّمو الروحي والأخلاقي والإجتماعي والفكري هو جوهر التربية الإسلامية[1].

وقال أيضاً: إن نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان هي نظرة شاملة موحدة متزنة معتدلة، فالإنسان ليس بالكيان المادّي المكوّن من فيزياء وكيمياء وسلوك آلي ميكاني كما ينظر إليه الفلاسفة الماديّون، كما أنه ليس بالروح التي تتجرّد عن المادة وتزدري بها

(١) الفلسفة التربوية في القرآن، ص ١١-١٢،

كما يفعل بعض المثقفين. فالإنسان في القرآن مكوّن من مادة وروح معاً. والإثنان مرتبطان متفاعلان[1].

وقال الأستاذ محمد سعيد المولوي: أما الرسول صلى الله عليه وسلّم فإنّه وضع أركان التربية النبوية على أساس من الشمول لكلّ حياة الإنسان، وكل أسباب هذه الحياة، وأقام حياة الإنسان على محور توازني، ونظرت التربية النبوية للإنسان على أنه كل يتألف من أجزاء لابدّ لها أن تتساوى وأن تتوازى، فالرّوح والجسد والعقل والنفس. . . الخ كل هذا له قيمته في الإسلام، وكلّ جزء له وظيفته التي يقوم بها، لا يجوز للجزء الآخر أن يطغى عليها.

والتربية النبوية ليست تربية مثالية نظرية، بل هي تربية مثالية عملية يمكن تطبيقها والعمل بها، ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في نفسه، إذ أنه طبق العبادة على شخصه قبل أن يطلب من بقية الصّحابة والمسلمين تطبيقها. ولولا فعله هذا - وفي هذا مثل تربوي عظيم - لما تبعه الصحابة ولما كانوا فيما بعد الجيل المثالي الذي حيّر الدنيا والعالم أجمع[2]. .

وقال عبدالرزاق نوفل: ويقرّر القرآن في آيات كثيرة وفي سور مختلفة أنّ الإنسان يتكون من جسد وروح. . . وبالرغم من أن الآيات قد أوضحت أنّ الجسد خلقه الله سبحانه وتعالى من تراب وأن الروح نفخة من الله، فإنّ الإسلام إهتم بالجسد قدر

---

(١) الفلسفة، ص ١٥.

(٢) مجلة التمدّن الإسلامي، عدد شوال ١٣٧٩ هـ ص ٨٠٧-٨١٢.

إهتمامه بالروح تحقيقاً لهدف خلق الإنسان، ووجهت آيات القرآن الكريم نظر الإنسان في أكثر من سورة إلى ضرورة إهتمامه بجسده والمحافظة عليه.

كما دعت الإنسان إلى أن يتزوّد روحياً بالتقوى، وقرّرت أن الإيمان بالله ولقائه هو ما يجب على الإنسان أن يعمل له[1].

ويقول محمد قطب: والإسلام يعني عناية خاصّة بالروح، إنّها في نظره مركز الكيان البشري، ونقطة إرتكازه، إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله ويترابط عن طريقها، إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان، إنها الموجِّه إلى النور، يكفي أنها صلة الإنسان بربه.

والإسلام - في عنايته الفائقة بتربية الروح - هو دين الفطرة، فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته وأعظمها، وأشدّها إتصالاً بحقائق الوجود.

وطريقة الإسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور[2].

ويقول محمد شديد: وعمل القرآن الأول في سبيل تربية النفس، هو ردها إلى فطرتها السليمة وتخليصها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخرافات العرف والتقليد، وأساس هذه الفطرة هو التوحيد، فقد جبلت النفس على معرفة ربها.

---

(١) الإسلام دين ودنيا ٧٧-٧٨.
(٢) منهج التربية الإسلامية، ٤٧/٤٨.

والعقيدة في الله ليست ترفاً في التفكير، ولا نافلة للنفس، ولا حاشية على هامش الحياة، ولا مظهراً من مظاهر الخوف أو الضعف، إنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وحاجة ملحة للنفس والرّوح، فإذا فقدت تركت فراغاً في النفس لا يملأ، وجوعة في الروح لا تسدّ، وخراباً في الضمير لا يعمر، وذلك سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من قلق، وما تشكو منه من حوادث الإنتحار وكثرة ضحايا الصّرع والجنون، وهي قوة هائلة للمؤمن تصله بقوة الله التي لا تغلب، وتمده بعونه الذي لا ينفد، وترعاه بكنفه الذي لا يضام[1].

قلت: ومما سبق يتضح لنا مدى عناية المربين من المسلمين قديماً وحديثاً بالتربية الإسلامية ومعرفتهم بأُصولها وإدراكهم لأهدافها، وما يشتمل عليه منهجها.

ولا شك أن القوة الروحية - التي تساندها العقيدة - الراسخة - والسمّو الروحي هما الدعامتان اللتان تمدان الشخصية بالقوة المعنوية والطموح إلى أسمى المقاصد وجلائل الأعمال، فكلما قوي جانب الإيمان باللّه وتمكنت العقيدة من الضمير كلما زادت الشخصيّة قوة وثباتاً، وكلّما إكتسبت بذلك هدى وبصيرة، فاندفعت إلى العمل بحماس ويقين، حتى تحقق من المقاصد أسماها وتبلغ من المراتب أعلاها، وبذلك يكون لها من القوة ما يهيؤها للصّمود والثبات في مواقف الحياة المختلفة.

---

(١) منهج القرآن في التربية ٨٥-٨٦.

وأعلى المراتب هو أن يعبد المرء ربّه وكأنه يراه، معتقد أن ربّه يراه في جميع حركاته وسكناته مطّلعاً منه على سرّه وعلانيته.

ففي حديث عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن إستطعت إليه سبيلاً، والإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، والإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال ابن رجب: الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربّه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله تعالى عياناً في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة.

وقال النووي: مقام الإحسان مقام الصديقين - أن تعبد الله كأنك تراه - هذا مقام المشاهدة.

قلت: ومتى بلغ الإنسان في معاملته مع ربّه إلى أعلا المراتب - مرتبة الإحسان - فإنه حينئذ يجد في العمل لذة وفي العبادة راحة ومتعة، لا يعرف قدرها إلاّ من ذاق حلاوتها، ومن ثمّ يجد في معاملته مع ربه منطلقاً بعيد الآفاق للتأمل، فيه غنى لنفسه ومتعة لروحه، وراحة لباله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

وجعلت قرة عيني في الصلاة، وروي أنه قال صلى الله عليه وسلم: يا بلال أرحنا بالصلاة.

وقال الله تعالى: ﴿وٱستَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ والْصَّلاٰةِ وإنَّهَا لكَبِيْرةٌ إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِيْنَ﴾[1]. قال القرطبي: خصّ الصّلاةُ بالذِكرِ بين سائر العبادات تنويهاً بذكرها، وكان عليه الصلاة والسلام إذا حزَبَه أمر فزع إلى الصّلاة.

ومنه ما روي أن عبدالله بن عباس نعي له أخوه قثم - وقيل بنت له - وهو في سفر فاسترجع وقال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله. ثم تنحى عن الطريق وصلى، ثم آنصرف إلى راحلته وهو يقرأ: «وآسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ والصَلاةِ» فالصلاة على هذا التأويل هي الشرعية، وقال قوم: هي الدعاء على عرفها في اللّغة، فتكون الآية على هذا التأويل مشبهة لقوله تعالى: ﴿إذَا لَقِيْتُم فِئَةً فآثْبتُوْا وَآذكُرُوْا اللَّهَ﴾ لأن الثبات هو الصّبر، والذكر هو الدُّعاء، وقال مجاهد: الصّبر في هذه الآية الصوم، ومنه قيل لرمضان شهر الصّبر، فجاء الصّوم والصلاة على هذا القول في الآية متناسباً في أنّ الصيام يمنع من الشهوات ويزهّد في الدنيا، والصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، وتخشع ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر الآخرة.

وقال بن جرير: إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله، الداعية آياته إلى رفض الدنيا، وهجر نعيمها، المسلية النفوس عن زينتها

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٥.

وغرورها، المذكرة الآخرة، وما أعد الله فيها لأهلها، ففي الإعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجدّ فيها، كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا حز به أمر فزع إلى الصّلاة.

وقال تعالى: ﴿الّذِيْنَ آمَنُوْا وَتَطمَئِنُ قُلوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ تَطمئِنُ القلوبُ﴾[1]. قال بن جرير: وتطمئن قلوبهم بذكر الله» وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله. فالصّلاة تربي الإنسان روحياً وخلقياً، فهي تربط بينه وبين خالقه وتعلم الإنسان الطاعة وتعوّده على شكر خالقه، كما أنها تقوي إرادة الإنسان وتعـوّده على ضبط النفس والصّبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد.

وهذا ما يحتاج إليه المسلم، كما أنها تربية إجتماعية، ففيها يجتمع المسلمون على قـدم المساواة، غنيهم وفقيـرهم وقويهم وضعيفهم واقفين أمام ربّ واحد متراصّين في صفوف متتالية في إتجاه واحد، متلاصقة أجسامهم، مُلْتَقِيَةً قلوبهم متّحدة مشاعرهم على غاية واحدة هي عبادة الله تعالى وآمتثال أمره وأداء ما افترضه عليهم، وفي هذا الإجتماع الأخوي والتلاقي المنتظم خمس مرات في كل يوم وليلة، يتم بينهم التعارف ويزيد التآلف وتقوى أواصر الأخوة والمحبة، ويتفقدون أحوالهم، ويتم بينهم التفاهم والتعاون، فهي تطهيرٌ للنفس، وتربية للروح، وتهذيب للأخلاق، وترويض للأعضاء في عمل صالح يجمع بين الخشوع والرهبة، أمام الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

﴿وأقِمْ الصَّلاةَ، إنّ الصّلاةَ تَنْهي عَنِ الفَحْشَاءِ والمنكَرِ﴾[٢].

﴿حَافِظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ الوسْطىٰ وقَوْموْا اللّهِ قانِتِيْنَ﴾[١].

أمّا الزكاة: فإنها تربية روحية وإجتماعية وخلقية، فهي تعوّد الإنسان على فعل ما أوجب اللّه عليه، وتربيه على أداء ما افترض عليه في ماله من حقوق عن طيب نفس وسخاء، وتنمي عنده حب الصّلة والمساواة لأبناء جنسه، وتنفي عنه صفات البخل والأنانية، فهي صلة بين العبد وبين ربّه، ورابطة وثيقه بينه وبين إخوانه المسلمين، تحبّبه إليهم، وتجعل له مودّة في قلوبهم وإلفة في مجتمعهم، كما أنها طهر لماله وتزكية له، وعونٌ لإخوانه المسلمين على تكاليف الحياة، فهي مشاركة شرعية وفريضة عادلة ووشيجة إجتماعية بين أغنياء المسلمين وفقرائهم، ففيها رضى الله تبارك وتعالى وجزيل ثوابه، وفيها من ناحية أُخرى تطييب نفوس الفقراء وسدّ عوزهم، وفيها توثيق لروابط مجتمع المسلمين ودعم لتماسكه، وآستقراره ونموه وثباته.

أما الصّيام: فإنه تربية روحية، لأنه يعلم الإنسان طاعة ربّه واللجوء إليه، وهو كذلك تهذيب خلقي، فهو يعوّده على الصبر وضبط النفس وكبح جماحها وصدّها عن التردي في حمأة الشهوات، وينمي فيه قوة الإرادة وصدق العزيمة، وفيه كذلك تربية إجتماعية، فإن من حكمة تشريعه، أن الغني يشعر بألم الجوع

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

فيتذكر بذلك حال أخيه الفقير فيدفعه ذلك إلى إعانته ومساواته، وهو كذلك من العبادة التي لها صفة المساواة الإجتماعية، حيث يتساوى الناس في أدائه، غنيهم وفقيرهم، فيؤدونه بطريقة واحدة وزمن واحد.

أمّا فوائده الجسمية: ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: صوموا تصحّوا، رواه أبو نعيم في الطب.

قال في فيض القدير: فيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حَظٌّ وافر مع عظم الأجر في الآخر، ففيه صحة للبدن والعقل بالتهيئة للتدبر والفهم وآنكسار النفس إلى رتبة المؤمنين والترقي إلى رتبة المحسنين، وفي الصوم غذاء للقلب كما يغذي الطعام الجسم.

الحج: قال اللّه تعالى: ﴿وإذْ بوَّأنا لإبرَاهيمَ مكانَ البَيْتَ أنْ لا تُشْرِكْ بي شَيْئاً، وطهِّرْ بَيتي للطائفين والقائمينَ والرِكّع السّجُوْدِ، وأذّنْ في النّاسِ بالحجّ يأتُوْكَ رِجالاً وعلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتينَ مِن كلِّ فجٍ عَميق، ليشهَدُوْا منافِعَ لهم ويذْكروْا إسمَ اللّهِ في أيّامٍ معلوماتٍ عَلَى ما رزقهم من بهيمةِ الأنعامِ فكلوا منها وأطعِمُوا البائِسَ الفقير، ثمّ ليقضُوْا تفثَهم واليُوفوْا نذورَهم واليطوّفوا بالبيتِ العتِيْقِ﴾[1].

تضمنت هذه الآيات الكريمات كثيراً من المقاصد التربوية والآداب الإسلامية التي يحققها المسلمون في حجّهم، إلى جانب

(١) سورة الحج، الآيات ٢٦-٢٩.

المنافع الكثيرة والخيرات الوفيرة - دينية ودنيوية - التي يشهدونها في هذا الموسم العظيم، وذلك لما يشتمل عليه الحج من مواقف العبادة التي تحتاج إلى جهد بدني، وما فيه من طرق البر وأوجه الانفاق التي يجود فيها المسلم بشيء من ماله طلبا لثواب ربه وإفضاله:

أوّلاً: إن الحج يشتمل على كثير من العبادات التي يتربّى فيها المسلم تربية روحية تقربّه إلى ربّه تعالى - كالطواف بالبيت والسّعي بين الصّفا والمروة والوقوف بعرفة ورمي الحجار - في هذه المواقف التعبديّة، في تلك المواقف الشريفة والبقاع المقدسة يقف المسلم أمام ربّه تعالى متجرّداً من لباسه مرتدياً لباساً يليق بموقفه كمخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة أمام ربّه، يقف خاضعاً مُتذلّلاً مكبّراً ومهلّلاً، مَشدُوْدَ القلب برجاء ربّه، خائفاً وجلاً من عقابه، مستجيباً لدعوته تعالى - لبيك اللهّم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك لا شريك لك، تائباً إلى ربّه آيباً إليه، يسأله المغفرة، يرجو رحمته ويخاف عقابه.

إنها لتَرْبيةٌ روحيةٌ رفيعةٌ، وتهذيب نفسي شامل، وتأديب خلقي قويم «فَلاَ رَفْثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ، وتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّاد التّقْوَى واتّقُونَ يَا أُوْلي الأَلْبَابِ»[1].

بل إنها صلةٌ بين العبد وربّه، يعبّر فيها الإنسان عن كوامن

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

قلبه - من حقائق الإسلام وصدق الإيمان - مسلماً قلبَه لربّه تبارك وتعالى عن رغبة ورضى وتوحيد للّه وإخلاص.

ثانياً: إنّ الحجَّ عبَادَةٌ لا تتعلَّقُ ببدنِ المُسلم فَحَسْب، كالصّلاة والصِّيَام، ولا بمالِهِ فحَسْب، كالزّكاة، ولكنّه أشبَهُ بالجهادِ في سبيل اللّهِ، فيشْترِكُ فيه البَدَنُ والمالُ، فيتحّملُ المُسْلِمُ ببدنه مَشقّة السَّفَرِ، ويُنْفِقُ من مالِهِ في طُرُق الخير، ومقاصِدِ البرِّ، ليحقِّقَ الغاية التّي مِنْ أَجْلِهَا جَاءَ إلى هَذَا البَيْتِ الشّرِيفِ متحمّلاً مشاقَ السّفرِ وأخطارَ الطّريق، (وعَلى كلِّ ضَامِرٍ يَـأْتِيْنَ مِن كُلِّ فجٍّ عَمِيْقٍ). وفي هذا الجانب تَربيَة للمُسْلِم عَلى الصّبْرِ وتحملِ المشَاقِ والإستجابة لربّه، وفيه تدريبٌ له على صدق العزيمة وقوة الإرَادَةِ والتغلّب على سُلطانِ النفسِ وهواها، والمنافَسَةِ الصّالحةِ في سُبُلِ الخيْرِ، وفيهِ تزكيةٌ لنفْسِهِ وتهذيبٌ لها، وتنزيهٌ لها عَنْ صفاتِ البخلِ والأنانية الذّميْمةِ، وفي سَبِيْلِ ذلك تَطِيْبُ نفسُهُ بما يُنفِقُ من مالِهِ، وما يجُودُ به في مقاصد البرّ والإحسان، ويهون عليه ما يلاقيه من المَشَاقّ البَدَنيّة، ويَسْهُلُ عليه كلُّ ما يُصادفُهُ مِنْ ٱلصّعابِ، فيرتاح لها قلبُهُ، بَلْ إنه يقابلها برغبَةٍ وٱشتياق، لأنّ ذلك يُقرّبهُ إلى عفوِ ربّه ويُدْنِيْه من غفَرانِهِ، ويخفّفُ من خطَاياهُ ويَحُطُّ من ذنوبه، فإنّه إنّما تحمّلها طاعةً لرّبه، رغبةً إليه واللّهُ لا يُضَيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عَمَلاً.

ثالثاً: إن الحجَّ يشتمِلُ على تربية إجتماعيّةٍ قَيّمةٍ، فإنّ المسلمينَ حينَما يَتوافَدونَ إلى بيتِ اللّهِ من مُختلفِ أقطارِ الأرضِ على إختلاف لغاتِهم وتباين ألوانِهم ويلتقون في هذه البقاع

المقدّسة بينَ يَدَيْ ربٍّ كريم متوحدة قلوبُهم على كَلِمَةِ «لا إلهَ إلاّ اللّهِ» اللهّم لبَّيكَ لا شريكَ لكَ لبّيك - قد خَلعُوْا عنهم لِبَاسَهُمْ التقليدي. وآرتَدوْا زيّاً واحداً على هَيْئَةٍ واحدةٍ، لا فرقَ لأحدٍ منهُم عَلَى أَحَدٍ، في مواقِف واحدةٍ، عَلَى نهْج إسْلاميٍ، تتحقّقُ فيه العَدالةُ الإجتماعيةُ، فلا فرقَ بين غنيٍ وفقيرٍ وقوي وضعيفٍ، ولا فضلَ لعَرَبي على عجمي ولا لعَجَمي على عَرَبي إلاّ بالتّقوى.

فهُنَا وفي هذِهِ المَـواقفِ الإسلاميّـةِ تتجلّى بينهم المُسَاوَاةُ وتتأكّدُ الأخوّةُ الإسلاميةُ، ويبدو التنافسُ الخيّرُ في وجوهِ البرِّ وطرقِ الإحسان. ويتمُّ بينهم التّعاونُ على البرّ والتّقوى.

وهُنا، في هذه المواقف الإسلامية تَضْمَحِلُ فوارق القوميّة الزائفة، وتذوبُ سمات الاقليمية الواهية، وتنعدم ملامح الطبقية المقيتة، وهنا تسودُ الأخوة الإسـلامية وحـدها، ويكـون لكلمة التّوحيد - لا إلهَ إلاّ اللّهُ - أثرُها العَمِيقُ، وتَأثيرُها البَالِغُ، إنّه مجتمـعٌ إسلامي حق، يلتقي فيـه المسلمُ بأخيـهِ المُسلِم، قلبُه بقلبِهِ، وشعورُهُ بشعورِه، وبَدَنهُ ببدنِه، في وحدة روحية تشدّهَـا العقيدة الإسلامية، ويؤطدها الشعور المتبادل، وتؤكدها الأهداف المشتركة.

إنّهم في هذه الأيّام المعلومات يلتقون في رحاب بيت اللّه ليذكروا إسم الله تعالى كما أمرهم بذلك، فيحيون سنة إبراهيم عليـه السلام، ويهتـدون بهدي محمّـد صلى الله عليـه وسلم، ويشهدون منافع لهم، في أشرف البقاع (بيت اللّه الحرام).

رابعاً: إن الحجّ يمثّل مؤتمراً إسلاميّاً عاماً يسود فيه التآخي والمحبة، وتقوى فيه أواصر الإلفة بين أفراد وجماعات الأمة الإسلامية، على إختلاف مستوياتهم الثقافية ومداركهم الفكرية، وتنوعاتهم اللّغوية.

إنّ هذا التلاقي الذي يتم في هذا المؤتمر الإسلامي السنوي كلّ عام، يَضُمُّ أعدَاداً من رجال الفكر من مختلف البلاد الإسلامية فيتم بينهم التعارف والتفاهم. ويتعاونون ويتآزرون في تفهّم ألوان القضايا وأشكالِ الصّعوبات التي تواجههم في مجتمعهم الإسلامي، ويتدارسون الأساليب والطرق التي يتوصلون بها إلى تذليلها، فينهَلُ كلّ من نمير هذا المؤتمر الإسلامي الصّافي، ويعلّ من ينبوعه الخَيّر، ويستنير كلّ بآراء إخوانه، ويستفيد من تجاربهم، ويتزوّد من خبراتهم، وبذلك تتّسعُ ثقافتهم، وتطّور مداركهم الفكرية، ويزدادُ بينهم التقارُبُ الفكري، والإنتاج العقلي، فالمسلمون في حاجه إلى هذا المؤتمر الإسلامي، هذا المؤتمر الذي فيه خيرهم الدّنيوي وسعادتهم الأخرويّة.

خامساً: إنّ من لطف الله تعالى بعباده ورحمته لهم أن أباح لهم الإبتغاء من فضله مع أداء العبادة في الحج، ليتزوّدوا من خيري الدنيا والآخرة ويغنموا من المنافع الوفيرة الّتي جعلها لهم في هذا الموسم العظيم.

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُم﴾ قال القرطبي: أي ليحضروا المناسك، كعرفات والمشعر الحرام، وقيل: المغفرة،

وقيل: التجارة، وقيل: هو عموم. أي، ليحضروا منافع لهم، أي ما يرضى اللّه تعالى من أمر الدنيا والآخرة، فإنّه يجمع ذلك كلّه، من نسك وتجارة، ومنفعة دنيا وأُخرى.

ولا خلاف في أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ التجارة، ففي هذه الآية دليل على جواز التجارة في الحجّ للحجّاج مع أداء العبادة. قال ابن جرير: هو لا حرج عليكم في البيع والشراء قبل الإحرام وبعده.



التطبيق العملي

١ - التدرج واعتبار القدرة:

أوضحت فيما سبق اشتمال التربية الإسلامية على الأصول التربوية السّامية التي تلائم فطرة الإنسان السليمة وترمي إلى تربيته تربية سليمة تكفل له التوازن النفسي والإستقامة في سلوكه والوصول إلى أسمى الغايات وأفضل المقاصد، في حياته الدنيوية وعلاقاته الإنسانية، وفي إستقامته على منهج التقوى الموصل إلى رضى ربّه - جل وعلا - وإلى السعادة الخالدة في الدار الآخرة.

والتربية الإسلامية - كذلك - حافلة بالنّصوص التي تهدي المعلم إلى بلوغ أهدافه التربوية في مجال التطبيق، فليس التّدرج في التعليم واعتبار القدرة من ابتكارات التربية الحديثة - كما يظن أو يرى البعض - ولكنهما من أساليب التربية الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك أسلوب الحكمة والرغبة والرهبة والإيضاح بالمحسوسات للوصول إلى العقليات، وضرب الأمثال والتأمل في الآيات الكونية، كلها من أساليب التربية التي عمل بها ودعا إليها معلّم الأمة وهاديها رسول ربّ العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

فمثال التدرج في التربية واعتبار القدرة قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين» فجاء أمره صلى الله عليه وسلم متضمناً التدرج في التربية، فأمر الصبي بالصلاة وعمره سبع سنين فيه تعويد له على فعلها وتدريب له على مشاركة الرجال المكلفين في إقامتها بأمره برفق ومن غير إكراه، حتى إذا بلغ عشر سنين أمر صلى الله عليه وسلم بأن يؤمر بها ويلزم بفعلها ويضرب على تركها، لأنه أصبح لديه القدرة الجسمية والإدراك العقلي لفعلها ولا سيما وقد مرَّ بفترة من التدريب عليها وممارسة فعلها. وقال صلى الله عليه وسلم: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وقال (ص) مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه.

فجعل صلى الله عليه وسلم فعل الواجبات معلّقاً بالقدرة، ومعلوم أن القدرة البدنية والقدرة العقلية تختلفان بين شخص وآخر، ومن هنا نرى أن المربي المدرك يرعى بين طلبته ظاهرة الفروق الفردية التي تتجلّى كثيراً عند مناقشة مسألة من المسائل العلمية التي تحتاج إلى درجة معينة من الذكاء وقوة الفهم.

والمولى تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿إتقوْا اللّهَ ما آستطعتم﴾[1]. ويقول جلّ وعلا ﴿لاَ يكلّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وسعها﴾[2].

---

(١) سورة التغابن (١٦).

(٢) سورة البقرة (٢٨٦).

قال الغزالي: يقتصر - يعني المعلم - بالمتعلمين على قدر أفهامهم فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلي وإلى الخفي من الظاهر هجوماً، وفي أول رتبة ولكن على قدر الإستعداد إقتداء بمعلم البشر كافة ومرشدهم حيث قال: إنا معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر عقولهم. وقال: كلّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله[1].

وقال الغزالي أيضاً: المتعلم القاصر ينبغي أن يُذكَر له ما يتحمله فهمه، ولا يذكر له أن ما راء ما ذكرت لك تحقيقاً وتدقيقاً أدّخره عنك، فإن ذلك يغير رأيه في تلقف ما القي إليه، بل يخيل إليه أنه كل المقصود، حتى إذا استقل به رقى إلى غيره بالتدريج[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلكنْ كُوْنُوْا رَبّانِيّينَ بمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرِسُوْن﴾[3].

قال القرطبي: الرّبانيون واحدهم ربّاني منسوب إلى الرّب، والرّباني الّذي يُربّي الناس بصغار العلم قبل كباره، وكأنه تقتدي بالربّ سبحانه في تيسير الأمور، رُوي معناه عن ابن عباس.

٢ - الحكمة والرغبة والرّهبة:

يقول الربّ جلّ وعلا ﴿ادْعُ إلى سَبيْلِ رَبّكَ بالْحِكْمَةِ

---

(١) ميزان العمل (٣٦٧).
(٢) ميزان العمل ٣٦٩.
(٣) سورة آل عمران ٧٩.

والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾[1]. وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول الشَيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه اللّه: أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح «بالحكمة» أي كلّ أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم وبالأقرب إلى الأذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر أكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائفين من الثواب العاجل والآجل، وما أعدّ الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.

قلت: في ما ذكره الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية

---

(١) سورة النحل ١٢٨.

الكريمة من إيضاح مقاصدها ومن الأساليب التربوية ما يشفي المتأمل الراغب في تحقيق تربية إسلامية قويمة، تقوم على أساس من الحكمة وحسن القصد، وتستنير العاطفة في إيقاظ جانبي الرغبة والرهبة في نفس المتعلم وتشد عقله بأحسن الأساليب وأقوى الدوافع، فالنفس البشرية مجبولة على الانسياق وراء رغباتها طالبة مؤملة، ولا تفتؤ جادة في طلبها، كما هي في مقابل ذلك تفرّ مبتعدةً عن كل أمر تدرك ضرره وترهب من الوقوع فيه.

يقول الرّب جلّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كانوْا يُسارِعُوْنَ في الخَيْراتِ ويَدْعُوْنَا رَغَباً وَرَهَباً وكَانُوْا لَنا خَاشِعِيْنَ﴾[1].

وقال (ص) من سلك طريقاً يلتمس فيه عالماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة، وَمَا اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّهِ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.

وفي صحيح مسلم عن محمد بن عبادة عن سفيان عن عمرو سمعه عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي (ص) بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال لهما: «بَشّرا ويَسِّرا وعَلِّما وَلاَ تُنفِّرا...».

٣ - الإيضاحُ بالمحسوس:

في الحديث عن بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ لنا

(١) سورة الأنبياء ٩٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: هذا سبيل اللّه ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سُبُل على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه، وقرأ ﴿وأنَّ هذا صِراطي مُستَقيماً فاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُوْا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكمْ عنَ سَبِيْلِهِ﴾.

وفي الصّحيحين عن أبي موسى الأشعري رَضي الله عَنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمنُ لِلْمُؤمنِ كالبُنيانِ يَشدُّ بَعضهُ بَعْضاً - وَشَبَّكَ بينَ أصابِعهِ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم «يأتي على الناس زمان: القابض على دينه كالقابض على الجمر».

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أنّ الأمانةَ نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال ثم نزل القرآنُ فعَلِمُوا من القرآن وعَلِمُوْا من السّنةِ ثم حَدّثَنا عن رفع الأمانَةِ قال: ينام الرّجُل النّومةَ فتُقبَضُ الأمانةُ من قلبه فَيظلّ أثرُها مثلُ الوكْتِ ثم ينامُ النومَةَ فتقبَضُ الأمانة من قلبه فيظلّ أثَرها كالمَجْلِ كَجمْرٍ دحرجته على رجلك فَنَفَطَ فتراه مُنْتبراً وليس فيه شيء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناسُ يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتّى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أجْلَدَه ما أظرفَه ما أعقَلَهُ وما في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان»[1].

---

(١) جذر: بفتح الجيم وكسرها هو الأصل.

وفي هذه الأحاديث الشريفة - ومثلها كثير في سنته (ص) مثل بالخطوط وبالبنيان والتشبيك بين الأصابع وبالقبض على الجمر وبالمجل والوكت وبالحصى - وهي أشياء محسوسة - للإيضاح عن أمور عقلية غير مرئية أثناء الحديث، ومن هنا يدرك المتأمل مدى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتوضيح الحقائق العلمية وتقريب مفهومها وما تهدف إليه للسامعين والمتدبرين بالمحسوسات المعروفة لديهم وضرب الأمثلة الدالة عليها.

ضَرْبُ الأمْثِلَةِ

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لهُمْ مَثلَ الحَيَاةِ الدُّنيا كماءٍ أنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ فَأَصْبَحَ هيثما تَذْرُوْهُ الرِّياحُ وكَانَ اللّهُ علَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1].

وجاء فيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الحَلَال بيّنٌ وإنَّ الحرامَ بَيِّنٌ وبَيْنَهُما أُمورٌ مُشَبِهاتٌ لَا يَعلَمُهنَّ كثيرٌ منَ النّاسِ فَمن

الوكت: بفتح الواو وسكون الأثر اليسير.

المَجْل: بفتح الميم واسكان الجيم التنفّط الذي يصير في اليد من أثر العمل بفأس أو نحوها.

منبراً: مرتفعاً.

(١) سورة الكهف/٤٥.

اتّقى الشّبُهاتِ فَقد اسْتَبْرأ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ ومَنْ وقَعَ في الشّبُهاتِ وَقعَ في الحَرَامِ كالرَّاعي يَدْعَى حَوْل الحمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيهِ ألاَ وإنّ لِكلِّ مَلِكٍ حمىً ألاَ وإنّ حمى اللّهِ مَحَارِمُهْ».

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عَنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يُلْدَغ المؤمِنُ مِنْ حُجْرٍ مَرَّتَيْنِ».

ففي الآية الكريمة - ومثلها في القرآن كثير - شبه المولى تعالى زهرة الحياة الدنيا وجمالها وسرعة زوالها بالنبات الذي أنبته ماء المطر بإذن ربه، وسرعة نموه وازدهار فنونه وبسرعة زواله، فالنبات إذا اكتمل نموه وتفتحت أزهاره سرعان ما يأتي عليه الصيف بحرارته وسموم رياحه فيصبح هشيماً تذروه الرّياح وفي الحديثين الشريفين مثل النبي صلى الله عليه وسلم بأشياء محسوسة مدركة في الواقع لأمور عقلية، فمثل لوقوع المرء في المحارم وفعله ما كان محظوراً عليه بدخول الراعي بإبله أو غنمه في حمى حماه ملك لرعي إبله وجعله محظوراً على غيره. ومثل عودة المؤمن إلى مكان أو فعل سبق له أن أصابه فيه أذى بمن يدخل يده في جحر يلتمس فيه خيراً وهو قد سبق له أن لدغ فيه.

وهكذا نرى كثيراً من الأمثلة التوضيحية في كتاب الله وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التي قصد من إرادها تقريب الحقائق العلمية وتيسير الفهم للمتعلمين وإدراك مغزاها للمعتبرين، وكفى بكتاب الله وسنة رسوله حكمة وبياناً.

التأمل في الآيات الكونية

قال الرّب جلَّ وعَلاَ: ﴿أوَلَمْ يَنْظُرْوا فِي مَلكُوتِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِنْ شيْءٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُل انْظُرْوا مَاذَا في السَّمَواتِ والأَرضِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمةِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ ذلِكَ لَمُحيي المَوْتَى وَهْوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوْا إلى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُروْجٍ. والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وأَلْقَيْنا فِيْهَا رَوَاسِيَ وأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أنّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقّاً فَأَنْبَتْنا فِيْهَا حَبّاً، وعِنَباً وقَضْباً، وَزَيْتُوناً ونَخْلاً، وَحَدَائقَ غُلْباً، وَفَاكِهَةً وأَبّاً، مَتاعاً لكم وَلِأنْعَامِكُمْ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ تَنْظرُوْنَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَـاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٦).

---

(١) سورة الأعراف ١٨٥.

(٢) سورة يونس ١٠١.

(٣) سورة الروم ٥٠.

(٤) سورة ق ٦-٧.

(٥) سورة عبس ٢٤-٣٢.

(٦) سورة الفاشية ١٧-٢٠.

ومثل هذه الآيات الكريمة في القرآن كثيرة، وقد وردت في القرآن الكريم بأساليب متنوّعة ومواقف متعددة.

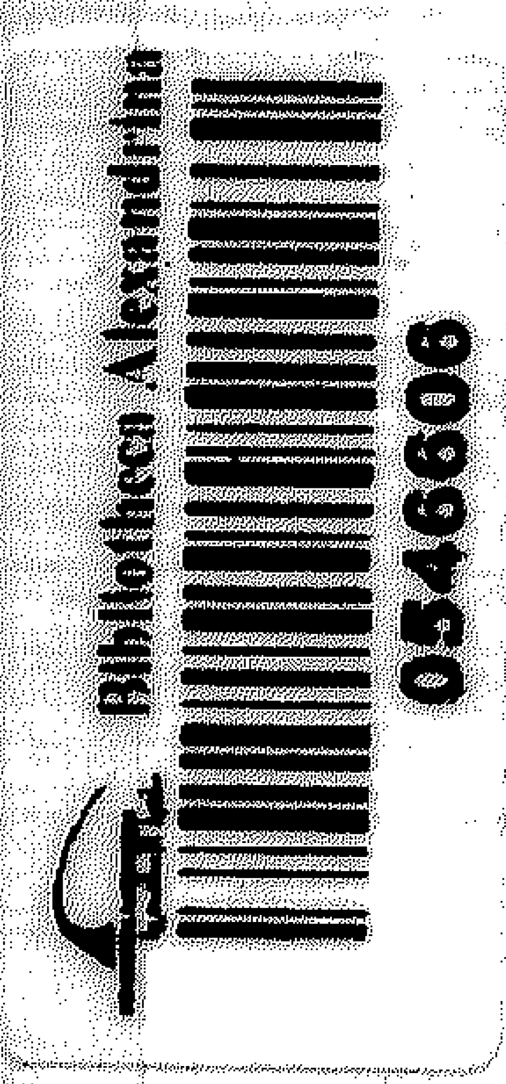
(والحمد للّهِ ربّ العالمين)

ثبت المراجع

إسم الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	
(١) صحيح البخاري	الإمام البخاري
(٢) صحيح مسلم	الإمام مسلم
(٣) الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
(٤) فتح القدير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني
(٥) تيسير الكريم الرحمن	عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي
(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري	شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
(٧) شرح صحيخ مسلم	الإمام محي الدين بن شرف النووي
(٨) مشكاة المصابيح	محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
(٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير	العلامة عبدالرؤوف المناوي
(١٠) أصول الايمان	شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
(١١) أعلام الموقعين عن رب العالمين	شمس الدين أبو عبدالله بن قيم الجوزية
(١٢) فتاوي شيخ الاسلام ج ١٠	أحمد بن تيمية
(١٣) زاد المعاد	شمس الدين أبو عبدالله بن قيم الجوزية
(١٤) الآداب الشرعية ج ٢	شمس الدين أبو عبدالله المقدسي الحنبلي
(١٥) غذاء الألباب	محمد السفاريني
(١٦) بهجة قلوب الأبرار	عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي
(١٧) الرياض الناضرة	عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي
(١٨) الفلسفة التربوية في القرآن	د. محمد فاضل الجمالي

(١٩) منهج القرآن في التربية	محمد شديد
(٢٠) أصول التربية ونظام التعليم	د. علي عبدالواحد وافي وزملاؤه
(٢١) الإسلام دين ودنيا	عبدالرزاق نوفل
(٢٢) أصول التربية وعلم النفس	محمد رفعت رمضان وزملاؤه
(٢٣) الطب النبوي	شمس الدين بن قيم الجوزية
(٢٤) منهج التربية الإسلامية	محمد قطب
(٢٥) التربية في الإسلام	د. أحمد فؤاد الأهواني
(٢٦) الكامل في اللغة والأدب	أبو العباس محمد بن يزيد المبرد
(٢٧) التربية مادتها ومبادؤها الأولية	ت.ب.تن/ ترجمة صالح عبدالعزيز شحاته
(٢٨) الأسس العامة لنظريات التربية	جيمس.س.دوس/ ترجمة صالح عبدالعزيز ومحمد السيد غلاب
(٢٩) ميزان العمل	الإمام أبو حامد الغزالي
(٣٠) أسس التربية الحديثة	سعد عبدالسلام.
(٣١) مجلة التمدن الاسلامي	عدد شوال ١٣٧٩.

محتويات الكتاب


Bibliotheca Alexandrina
0546606